مکتبتنا العربية

شعبان سنة ١٣٧٦
١٦٠

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكتبتنا العربية

حول ما نسب الى ابن حزم
فيما يجوز للخاطب من مخطوبته

وردت إلى الأزهر أسئلة عما نشر فى مجلة الجيل الجديد منسوبا إلى ابن حزم من أنه يبيح للخاطب أن يستمتع بمخطوبته قبل العقد عليها : يقبلها ويعانقها ويقف منها على ما يرغبه فى التزوج بها ، وطلب أصحاب هذه الرسائل بيان الحق فى ذلك .

ولما كان فى نشر مثل هذه الأقوال منسوبة إلى فقيه من فقهاء المسلمين فساد فى المجتمع وإغراء بالفتنة وقد كان لذلك (بالفعل) من الأثر ما يجب أن ينزه عنه الشرع الاسلامى ، لذلك رأينا أن نبين حكم الله فى المسألة .

وبالرجوع إلى موسوعة ابن حزم فى الفقه وهى كتاب المحلى يعلم أنه لم يقل بجواز أن يستمتع الخاطب بمخطوبته أو يعانقها أو يقبلها فانها أجنبية منه مادام لم يعقد عليها . فمعانقتها وتقبيلها والاستمتاع بها بأى وجه من وجوه الاستمتاع منكر لا يقول بجوازه ابن حزم ولا أحد من المسلمين ، وإنما أباح ابن حزم ما أباحه فقهاء المسلمين وهو (النظر) فقط إلى المخطوبة . قال ابن حزم فى المحلى (ج ١٠ ص ٣٠ طبعة ١٣٥٢) بعد أن ساق جواز نظر الخاطب إلى مخطوبته برهان ذلك قول الله عز وجل « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم » فافترض الله عز وجل غض البصر جملة كما افترض حفظ الفروج : فهو عموم لا يجوز أن يخص منه إلا ما خصه نص صحيح : وقد خص النص الصحيح (نظر) من أراد الزواج فقط .

والنصوص التى أوردها ابن حزم وسائر أئمة المسلمين وفقهائهم منحصرة فى إجازة (النظر) وحده دون غيره للخاطب من مخطوبته .

مكتبتنا العربية

وقد انعقد اجماع المسلمين على أنه لا تجوز الخلوة بأجنبية ، وعلى الأمر بغض النظر إلا ما كان فى الخطبة : فقد ورد فى إباحة النظر وحده أحاديث كثيرة : منها حديث أبى حميد فى مسند الإمام أحمد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبة وان كانت لا تعلم » . وحديث محمد بن مسلمة فى مسند أحمد وسنن ابن ماجه قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا ألقى الله عز وجل فى قلب امرىء خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها » .

وأما ما زاد على النظر من الخلوة بالمخطوبة وما تستتبعه هذه الخلوة من التقبيل وغيره فشىء لا يعرفه الإسلام .

وقد روى جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها فان ثالثهما الشيطان .

وعلماء الأزهر يهيبون بالمسلمين وحكامهم أن يتنبهوا إلى موجات الإباحية والإلحاد والفوضى التى تتلاطم أمواجها فى مجتمعهم والتى تتمثل فى محاولة التشكيك فى وجود الله والجرأة على عصمة النبى صلى الله عليه وسلم والدعوة إلى التحلل وإغراء الشباب بالعبث بمبادىء الدين إلى آخر ما تمتلىء به صحف ومجلات تحت ستار حرية النشر .

هذا ونحن نستبعد أن يكون ما نشر فى مجلة الجيل الجديد صحيحا على النحو الذى نشر .

والله ولى التوفيق والهادى إلى سواء السبيل ٩

مكتبتنا العربية

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
ملم
٤٠٠ في وادي النيل
٢٠٠ لطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالأوقاف
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ للطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الثامن ـ القاهرة في غرة شعبان ١٣٧٦ ـ ٣ مارس ١٩٥٧ ـ المجلد الثامن والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

نحو حياة أفضل وأسعد . . .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تحاول مصر ـ في هذه الحقبة التاريخية من حياتها ـ أن تكتشف ما في تربتها وتحت طبقات صخورها من معادن جامدة أو سائلة .

وتحاول أن تكتشف ما في خبايا أرضها من مومياء ونقوش وآثار .

وتحاول أن تكتشف ما في نفوس شعبها الطيب من سجايا وفضائل .

وأنا من مكتبي في إدارة الجامع الأزهر ، وفي هذه الصفحات من مجلة الأزهر ، يطيب لي أن أتحدث إلى إخواني علماء الأزهر وشباب الأزهر ، في أن نتعاون معا على اكتشاف أعظم كنوز السماء في الأرض وأثمنها ، أن نتعاون على اكتشاف « الإسلام » كما كان يوم صنع به أكمل رسل الله تلك الصفوة الناهضة الثائرة على أباطيل البشر ، من أعوانه الذين ما كادت شعوب الأرض تعرفهم ، وتعرف الإسلام بهم ، حتى رأت به وبهم إنسانيتها المنشودة ، وسعادتها المفقودة ، وحياتها الهنيئة التي اغتبطت بها ، فكان منها يومئذ تلك الأجيال الأولى من عالمنا الإسلامي في أبهج أدواره وأسعدها .

مكتبتنا العربية

لقد أنشأوا بالإسلام ذلك العالم الإسلامى الذى جدد شباب الانسانية بعدالته ، وزينوا الحياة الدنيا بتعاونهم على الحق والخير ، وحببوا الناس بعضهم إلى بعض بما بثوا فيهم من لذائذ التراحم ، وما أشاعوه بينهم من تبادل الرفق فى مختلف الطبقات ، وماخلدته كتب التاريخ عن سخاء أهل السعة والجدة على أهل الرقة والكفاف ، فنهض الناس جميعا بصناعات البلاد ومرافقها ، وانسمت بنشاطهم آفاق الحضارة والعمران ، وتقدموا فى الآداب والعلوم إلى أقصى ما بلغته معارف البشر لعهدهم ، وخفقت راياتهم فى جميع قارات الأرض المعروفة .

كل هذا ظفروا به ونالوه بما اكتشفوه فى فطرة إسلامهم من ينابيع القوة ودوافع التقدم . فهل يعجز الإسلام الذى فعل هذا كله فى الأمس، عن أن يستأنف رسالته فيفعل اليوم مثل ذلك وأكثر منه ؟ أم أن الإسلام الذى تمت على يده المعجزة فى الأمس ، يفترق ـ فى قليل أوكثير ـ عن إسلامنا الذى نعتز بالانتساب إليه اليوم ؟

الحق أن الإسلام فى نفسه هو الإسلام ، بل هو الدين الوحيد من أديان البشر الذى تولى الله حفظه ، فبقيت نصوصه الأصيلة المأثورة عن عصر النبوة غضة سليمة كالعهد بها يوم أنزلت ، وكان المسلمون فى البطون الثلاثة الأولى يتخلقون بما فيها من أخلاق ، ويتعاملون بما تقرر فيها من مبادئ وأنظمة اجتماعية، فكانت كالعقد الأدبى فى روابطهم، وكالعرف العام المحترم فيما بينهم، وكان من ثمرات ذلك ما وصفته آنفا من ارتفاع مستوى المسلمين بين الأمم ، إلى أن استعجمت دولة الإسلام قبل نحو ألف سنة ، فبدأ التفاعل بين المسلمين وأنظمة الإسلام الاجتماعية يضعف ويتلاشى ، وأخذ الإسلام يتحول فى نفوس أهله من حياة قوية متوثبة ، إلى تقاليد وبدع وشكليات وأوهام انبثت معها جراثيم الضعف فى المجتمع الإسلامى ، وما برحت تتسع وتستفحل فى الطبقات الدنيا ، وفى البيئات البعيدة عن تذكير المسلمين بهداية دينهم ، حتى أدى ذلك إلى الاستسلام لمزالق الاستعمار وحبائله فى القرنين الأخيرين ، مما لا نزال نرى بقاياه فى الجزائر ومنطقة باب المندب وسواحل الخليج العربى وبعض الآفاق الأخرى من آسيا وإفريقية . على أن هذه المؤثرات التى تسلطت على المسلمين قبل الاستعمار وبعده لم تستطع أن تتغلب على كل ما فى نفوس المسلمين من معادن الخير وحوافز القوة الإسلامية ، لذلك رأينا ولا نزال نرى من آثار ذلك هذه الموجات العنيفة المباركة من موجات التمرد على الاستعمار فى كل وطن من أوطان المسلمين ، معلنة عن بقايا قوة الإسلام فى نفوس أهله ، ولهذا كان

مكتبتنا العربية

الاستعمار يناصب الإسلام العداء ، ويحاول تخدير حيويته فى المسلمين ، ويشجع البدع الطارئة عليه ، وينعش الرواسب التى كدرت صفوه ، ويحمى الخرافات والأباطيل من جهة ، والإلحاد والزندقة والإباحية والانحلال من جهة أخرى ، وهدفه من ذلك كله أن لا يبقى للمسلمين من الإسلام إلا عنوانه ، وبعض رسومه مجردة من روحها وحيويتها ، بقدر الإمكان .

إذا كانت مهمة الاستعمار ورسالته فى دنيا المسلمين أن يخدعهم عن دينهم ، وأن يقتل فيهم حيويته ، وأن يحبسه بين جدران المساجد فيحول بين المسلمين وبين أن يخرجوا بأسلامهم إلى مجتمعهم ، وإلى أسواقهم ، وإلى صحافتهم ، وإلى أنديتهم ، وإلى مدارسهم ، وإلى بيوتهم . وإذا كانت مهمة الاستعمار ورسالته أن يحمى البدع الطارئة على الإسلام ، والخرافات والضلالات التى تسلطت على أهله فى عصور الضعف والوهن ، ليقنع المثقفين من شباب المسلمين بأن الإسلام - بحالته هذه - غير صالح للبعث والانتعاش واستئناف رسالته الأولى فى الأرض . .

إذا كانت هذه هى مهمة الاستعمار ورسالته فى دنيا المسلمين ، فان مهمة كل من يعرف الإسلام من أبناء المسلمين أن يحرر الإسلام من كل ما طرأ عليه مما لم يكن معروفا فى القرون الثلاثة الأولى التى أثنى عليها حامل أكمل رسالات الله يوم قال : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » . وكانت هذه الكلمة من أعلام نبوته صلوات الله وسلامه عليه ، لأنها تحققت كما تنبأ بها ، ولم تشهد الإنسانية جيلا خيرا من الجيل الذى رباه رسول الرحمة وأعده لنشر دعوة الحق والخير ، فكان الانقلاب الإنسانى الذى تم على أيديهم وعلى أيدى الجيلين اللذين نهضا بالدعوة من بعدهم ، ولا يشك منصف أنه أسعد انقلاب عرفه التاريخ . وإن كل قوى الشر التى حاولت أن تحطم هذه الدعوة وأن تردها على أعقابها قد فشلت المرة بعد المرة ، إلى أن نجحت بعد ذلك باحداث البدع فى الإسلام ، واختراع أباطيل شوهت جماله ، وأضعفت حيويته ، وخدّرت نشاطه ، وجعلت منه شيئا هزيلا غير الذى كان يعرفه المسلمون الأولون .

قبل نحو ربع قرن كنت من شهود محاضرة فى « اليمن والشؤم » ألقاها فى دار جمعية الهداية الإسلامية إمام من أئمة الوعظ والإرشاد وهو العلامة الشيخ على محفوظ رحمه الله ، فكان مما قاله فيها : « لقد غلب على الناس اليوم عقائد وأوهام ، حتى أصبح لها السلطان الأعلى فى أعمالهم وتصرفاتهم ، مع أنه لا يقرها شرع ولا يقبلها عقل ، بل هى من بقايا

مكتبتنا العربية

الجاهلية الأولى . فمن تلك الأوهام اليمن والشؤم فى مثل المنازل والأزواج والدواب والضيف ، فاذا حدث شئ من الخير أو الشر بمصادفة الأقدار عند شراء منزل أو السكنى فيه ، أو عقد زواج ، أو شراء دابة ، أو قدوم ضيف ، زعموا أنه منها وبسببها ، وربما استأنسوا لذلك بما رواه البخارى من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الشؤم فى الدار والمرأة والفرس » . وهو خطأ معيب ، فقد ورد فى بعض روايات الحديث تفسير الشؤم واليمن فى هذه الأمور على غير ما زعموا ، روى الطبرانى من حديث أسماء بنت عميس قالت : يا رسول الله ، ما شؤم الدار ؟ قال : ضيق ساحتها ، وخبث جيرانها . قيل : فما سوء الدابة ؟ قال : منعها ظهرها ، وسوء خلقها . قيل : فما سوء المرأة ؟ قال : عقم رحمها ، وسوء خلقها . وفى الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال : « اليمن والشؤم فى المرأة والمسكن والفرس . فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها ، وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها . ويمن المسكن سعته وحسن جوار أهله ، وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله . ويمن الفرس ذله وحسن خلقه ، وشؤمه صعوبته » . فانظر إلى فطرة الإسلام من هذه الناحية وكيف انحرف المسلمون بها بعد ذلك بجهل عامتهم تمام الحديث ، فترتب على ذلك فساد فى البيوت كبير ، وشر بين الناس مستطير .

وعلى مقربة من منزلى فى جزيرة الروضة شجرة جميز كانت فى حديقة للشيخ أبى الأنوار السادات قبل مائة وسبعين سنة ، فنذر ثمرتها للسابلة وعامة الناس ، وصارت تسمى « شجرة المندورة » ، وفى عشرات السنين الماضية صار لهذه الشجرة سدنة كسدنة اللات والعزى ، وانتشرت فى الناس خرافة أن المرأة إذا قدر الله عليها العقم فان هذه الشجرة ترد عنها قدر الله وتيسر للمرأة العاقر ـ إذا دخلت تحت أغصانها وأكرمت سدنتها ـ أن تصير بعد ذلك حاملا . والذين مروا بهذه الشجرة فيما مضى كانوا يرون حول جذعها شبه غرفة تدخلها العاقر لتصير حاملا ، وقد نصبت الرايات على هذه الغرفة ، وعقدت الخيوط والخرق بمسامير مغروسة فى جذع الشجرة التى زعموا أنها ترد قدر الله ! وقد حاول كثير من سكان الروضة أن يطهروا جزيرتهم الجميلة من هذه الوثنية فعجزوا ، إلى أن تداركها الله بمصلحة التنظيم فى بلدية القاهرة فى الخريف الماضى فأزالت بعض معالمها ولا تزال الزائرات يختلفن إلى بقاياها ، وبعضهن من ملاك السيارات الفخمة ، وإذا كان هذا فى القاهرة وفى جزيرة الروضة القائمة بين شواطئ النيلين ، فما بالك بما هو متغلغل ومتأصل

فى الأزقة والقرى من البدع والأباطيل التى تشوه جمال الإسلام فى نفوس المسلمين والمسلمات ، وتحول بينه وبين النهوض بأهله إلى المستوى اللائق بأهل الحنيفية السمحة .

الإسلام هو الذى كان عليه النبى صلى الله عليه وأصحابه والتابعون لهم باحسان ، وكل ما طرأ عليه مما لم يكن منه فى الصدر الأول فهو مدسوس على أهله . وقد جربت الإنسانية إسلام الصدر الأول فوجدته مصدرا للخير ، مقيما للحق ، ناهضا بأهله نحو المعالى . وكان بصورته الأولى الجميلة جذابا للقلوب ، محببا إلى الناس ، يتزاحمون على كوثره أفواجا أفواجا . أما الذى عليه عوام المسلمين الآن فى عقلياتهم ومعاملاتهم وبدعهم وأباطيلهم فمن أكبر الظلم للاسلام أن يحسبه الأغيار عنوانا له ودليلا عليه . وفضلا عن أن الإسلام مظلوم من هذه الناحية ، فأن التكوين الاجتماعى للمسلمين بعد التحرر من ربقة الاستعمار لايمكن أن يبلغ المستوى اللائق بأمة متحررة مالم يتحرر إسلام المسلمين من البدع الطارئة عليه والزيادات التى ألصقت به ظلما وليست منه .

والإسلام كما كان فى الصدر الأول مجهول الآن من جماهير المسلمين . والمعروف لهم منه مظاهر فقدت حيويتها ، وأسماء لا تدل على مسمياتها ، وما بقى لهم من معادنه الثمينة تسلطت عليها الرطوبة وجللها الصدأ تخفى جوهرها عن المسلمين .

الإسلام فى نفسه أعظم كنوز السماء فى الأرض وأثمنها ، لكنه كنز مجهول من الجماهير ومكتوم عن أنظارهم ، ومنذ بات مجهولا ومكتوما تعرض النشء الإسلامى للدعايات والمذاهب والتيارات المختلفة ويوشك أن يكون ضحية لها .

فى يوم الاثنين ٢٧ من جمادى الآخرة وقف السيد حسين الشافعى وزير الشئون الاجتماعية والعمل فى حلقة الدراسات الاجتماعية الأزهرية بمشهد من فضيلة الأستاذ الأكبر وكبار علماء الأزهر وجمهور من طلبة الكليات الأزهرية ، فكان مما قاله : « إن العالم تتجاذبه الآن اتجاهات وتيارات مختلفة ، ومبادئ ومذاهب متعددة ، وقد ترتب على الإسلام فى هذه المرحلة الخطرة من تاريخ البشرية أن يشهر سلاحه ، ويفصح عن مبادئه ، ويثبت وجوده . وإذا قصر المسلمون فى هذا فان هذه المبادئ المختلفة ، والتيارات المتعارضة ، ستحرم الإنسانية من فضائل الإسلام ، وما فيه من ينابيع الخير ، إنها أسلحة من أسلحة الرأى والتوجيه ، ولا تقل هذه الأسلحة إلا بأسلحة مثلها . . . إن مشكلات المجتمع لا يمكن حلها إلا إذا توفر لنا شرطان : العلم بهذه المشكلات ، والمبادئ التى تطبق لحلها » وقد أعلن أمل الحكومة فى أن تجد فى رجال الأزهر وشبابه

مكتبتنا العربية

الأزهر عدتها فى هـذا النوع من الكفاح القومى ، لأن الأزهر هو الينبوع الأصيل للمبادئ الاجتماعية السامية .

وفى اعتقادى أن كل نظام للاصلاح تسنه الحكومة ، وكل عمل طيب تقوم به لرفع مستوى هذه الأمة ، لا يمكن أن يثمر ثمرته إلا إذا استطاع قادة الفكر والمرشدون أن يوجهوا هذه الأمة إلى الله وحده ، وإلى رسالة أكمل رسله ، وأن يجعلوها بذلك أمة صدق ، وأن يردوها إلى التعامل بأخلاق الإسلام ، وأن يقنعوها بأن ما يكسبه الفرد لدنياه بالأمانة والصدق وطهارة الذمة أغنى له وأبقى مما يكسبه بالأساليب الملتوية . إن المجتمع المصرى ، بل المجتمع الإسلامى ، يستدبر زمانا مضى بعيوبه وآثامه ، ويستقبل زمانا لا محل فيه إلا لأهل الجد ، والعمل ، والتقدم إلى الأهداف السامية من أقصر الطرق وأقربها ، وهو الطريق الذى يشتهيه كل مسلم ويتمناه ويطلب من الله فى كل ركعة من ركعات صلاته أن يدله عليه ، وهل معنى تضرعنا إلى الله بأن يهدينا « الصراط المستقيم » إلا أن نكون أمة صدق ، واستقامة على الحق ؟ ويوم كان المسلمون فى الصدر الأول يتجهون بوجوههم وقلوبهم إلى الكعبة بيت الله الحرام ويضرعون إلى ربهم فى صلاتهم قائلين « اهدنا الصراط المستقيم » إنما كانوا يعنون ما يقولون ، ويعرفون أن الصراط المستقيم لا يهتدى إليه إلا الأمين الصادق طاهر الذمة الذى يؤمن بأن الله عز وجل هو وحده الضار النافع وهو وحده الرزاق ذو القوة المتين ، وأن الطريق إلى سعة الرزق ، وأن الطريق إلى القوة ـ قوة الفرد وقوة الوطن وقوة الأمة ـ إنما هو بالتماس رضا الله عز وجل ، وإخلاص العمل له ، والتخلق بأخلاق الإسلام ، والتزام صراطه المستقيم .

وبعد فان « الصراط المستقيم » هو صراط الرسالة الإسلامية الذى مشت فيه إلى تكوين المجتمع الإسلامى الأول ، وقد كان مجتمعا سعيدا قويا ملأ الأرض عدلا وفضيلة ورخاء ، حتى ان الأغنياء فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز كانوا يبحثون عن أهل الحاجة والفاقة ليمدوهم بزكاة أموالهم فلا يجدون إلا أمة قانعة كادحة مكتفية بالحلال . ولو استغنى الناس عما لا حاجة بهم إليه فى غذائهم الصحى وكسائهم المعتدل وسكنهم المتواضع وعيشتهم الراضية لرزقهم الله كفايتهم من هذا الغذاء والكساء والسكن حلالا طيبا ، وهذا النوع من الغنى الإسلامى يستطيع أن يفهمه المسلمون من الذين يكتشفون لهم كنوز الإسلام ، ويحسنون عرضها عليهم ، ويكونون قدوة لهم فى الإفادة منها . فالى هذه الرسالة الإسلامية هلموا أيها المحمديون لتتعاون على أدائها قبل أن تفوت الفرصة ، والله معنا ...

محب الدين الخطيب

مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

- ٤٨ -

(ا) الموالاة . (ب) المسالمة . (حـ) الحذر .

(١) إنما وليكم الله ، ورسوله ، والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون

مناهج ثلاثة ، رسمها القرآن لأهله ، ينتهجون أولها ـ الموالاة ـ فيما بينهم ، وينتهجون الثانى والثالث مع من عداهم .

وفى هذه المناهج تكييف للعلاقات الاجتماعية التى تبرز فيها شخصية الجماعة الإسلامية كأمة لها مميزاتها وخصائصها ، ولها طابع يفسح للأفهام أن تعرفها حتى لا تكون الشخصية الإسلامية محجوبة عن الأذهان ، ولا مغمورة بالشبه والشكوك .

(ا) فالمنهج الأول : منهج الموالاة ، وقد ردد القرآن ذكرها فى آيات عدة : منها الآية التى فى مطلع حديثنا ، والموالاة هنا معناها المحبة ، والارتباط ، والنصرة .

وقد خوطب المسلمون خطاب تكليف أن يجعلوا هذا المنهج ديدنا لهم فى المحيط الإسلامى ، وأن يعتبروه من جانبهم وفاء بعهد الله ، ومؤازرة لرسوله صلى الله عليه وسلم ووثيقة إخاء فيما بينهم .

ومعنى ذلك : أن الولى الذى نركن إليه ، ونتعلق بحبه ، ونقوم على طاعته والتضحية فى سبيله : هو ـ أولا وبالذات ـ الله سبحانه وتعالى .

وثانيا ـ رسوله ، صلوات الله عليه ـ لأنه حامل الدعوة إليهم من عند ربهم ، وهو قائدهم إلى الغايات المنشودة فى حياة يراد بها أن تكون حياة خير أمة أخرجت للناس .

مكتبة العربية

وثالثا ـ المؤمنون ، لأنهم الطائفة التى التزمت عهود الله ، وتآخت فى الطاعة لله ، ولرسوله ، على تعاطف ، ومحبة ، وتعاون ، والمقصد أن يكونوا كتلة متضامنة مع ولاة الأمر فيهم .

وتوجيه القرآن للمؤمنين إلى الموالاة على النحو السالف كله توجيه مفروض قبوله منهم ، وهو حتمى عليهم ، فانهم أمة واحدة فيما لها من دين ، ومنهج .

والموالاة بين تابعهم ومتبوعهم ، وحاكمهم ومحكوميهم ، ميسورة ومرجوة : ضرورة أنهم أمة متفقة فى الدين ، والمنهج العملى المستمد منه فى شئون الحياة .

وحينئذ تكون دعوة القرآن للمؤمنين إلى موالاة بعضهم لبعض ، وتكون تلبيتهم لهذه الدعوة غير مشوبة بلون العصبية المعيبة أو المعاندة .

ومن تمام التوجيه إلى موالاة المؤمن للمؤمن أن يكون الولاة المتبوعون برة فى الدين على الوجه الذى ذكره الله ـ سبحانه ـ فى قوله : ـ الذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، وهم راكعون ـ يعنى أن يكونوا هم كذلك فى جانب الله ، مثابرين على الصلاة ، مؤتين للزكاة ، متواضعين بين الناس : تواضع الخشية لله ، كما تكون خشية الراكع فى صلاته .

وبتوافر هذه الصفات فيهم يكونون موضعا للثقة فيهم ، وأهلا للقدوة بهم ، والموالاة لهم على السمع والطاعة .

فاذا تمت صفات الموالاة بين الجانبين كانوا جميعا حزب الله وحزب الله ـ لا شك ـ هم المفلحون .

وعلى هذا ترددت الآيات الكريمة بالوعود الصادقة أن ينصر الله من كانوا على هذه الشاكلة ـ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ـ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، وإن يخذلكم فمن الذى ينصركم من بعده ـ وما النصر إلا من عند الله .

وقصارى الحديث فى هذا المقام أن الله دعانا ووعدنا ، وتحقيق وعده مشروط علينا بتلبية دعوته .

وهذه سنته فيما يجرى لعباده ، وقديما حرب المسلمون أنفسهم فى أوضاع عدة . فحينما كانوا حزب الله كانت لهم النصرة على من عداهم ، وكانت لهم جولات مرموقة فى مسالك الحياة وفى نظام الحكم ، واتساع السلطان ، وشيوع المهابة لهم حتى عند أقوى الأمم

مكتبتنا العربية

وحينما تراخت صلة الولاة بربهم ، ووهنت الروابط بين صفوفهم ، وهانت على المسلمين دعوة الله ، أصبحت خطاهم وئيدة ، ثم صارت جماعتهم غثاء كغثاء السيل : لا قوام لها ، ولا متعة فيها ، ولم يستمروا حزب الله كما كانوا فتخلف عنهم ما كان مرجوا لهم ، ولم يخالف الله وعده فينا ، بل نحن الذين خرجنا عن الجادة ، ورغبنا عن مواصلة السير على ما كان أسلافنا .

ومع ذلك : فمنهج الموالاة لا يزال قائما ، ولا تزال دعوة القرآن إليه صارخة مدوية فى المسامع وتجارب الحياة تدفعنا دفعا نحو الرجوع إليه لنستعيد ما فات . . ولعلنا فاعلون (حى على الصلاة حى على الفلاح) .

(ب) المنهج الثانى للمؤمنين منهج المسالمة ـ فى غير ضعف ـ مع غيرهم إذا لم يكن الغير مشاقا لنا ، ولا عاديا علينا .

فان الإسلام دين عمرانى ، يدعو الجماعة الإنسانية إلى كل خير ، ويود لها أن تسير نحو المثالية ، ولا يمنع أن يتعاون المسلم مع غير المسلم فى شئون الدنيا . . بل ينشد فى المسلم أن يكون مثلا واضحا فى الكمال ، ومصدر نفع لنفسه ولغيره ، حتى يكون فى مسلكه الشخصى حجة للدين فى سموه ، لا حجة على الدين عند خصومه « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم ، وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » أى العادلين ، ولو مع غير المسلمين ، وفوق ذلك أباح للمسلم أن يزدوج بزوجة كتابية إذا أراد . . . وشرع لنا أن نأكل من طعامهم الحلال ، وحتم علينا أن نجادلهم بالحسنى ، وأن نكسب مودتهم بالإحسان ، لا ضعفا ولا هوانا منا « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن » . « وجادلهم بالتى هى أحسن » . « ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .

بل نهى المسلم أن يشاتم إنسانا لا دين له ، لئلا يغضبه ويستفزه إلى المقابلة بالمثل أو أشد « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » .

وهكذا من ضروب التهذيب التى تكفل المسالمة بين المسلم وغير المسلم ، وكل ذلك للرغبة فى تركيز السلام بين الناس ، وليتفرغوا للعمل المشترك فى تعمير دنياهم ، وليظهر فى المسلم طابعه الدينى الحق ولونه الصحيح . . وكان السلف المسلمون يقولون فى دعائهم الذى يحكيه عنهم القرآن ويعلمنا إياه : « ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم » .

مكتبتنا العربية

(ج) المنهج الثالث : منهج الحذر من أعداء الإسلام، حتى لايكون المسلمون أغرارا يخدعهم عدوهم حتى يفتنهم عن دينهم بما يبديه من وسائل الإغراء ، وبما يبث بينهم من النزعات الباطلة ، والانحلال المموه بلون المدنية ، والحرية الشخصية ، والميوعة الممسولة التى ترخرخ المسلم عن رجولته ، وتستلب حياءه وغيرته ، وتجعله أشبه بالأنثى فى تخنثه ، وتجعل الأنثى كالرجل فى غشيان المجامع ، ومزاحم الأقدام : فان هذه هى الشرارة المحرقة للمقومات الشخصية فى الأفراد ، ثم هى العاصفة الجائحة للقومية التى يمتاز بها الوطن العربى ، والمرء يستهين بالخطر فى أوله ، ويستسلم للفتنة ملفوفة فى ملامح الزينة ، ويتزمت من الدعوات الجدية حتى يغلب على أمره ، ويؤتى من مأمنه .

وكانت وصية الله تعالى لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوية فى هذا الشأن ـ واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ـ فاحذرهم قاتلهم الله ـ « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ، واتبع هواه ، وكان أمره فرطا » . خسرانا وضياعا فى المهالك . . . وهذا خطاب يتناول الأمة كلها .

ثم كانت وصية الله كذلك عامة موجهة إلى المؤمنين : « يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم » . « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

فهذه مناهج ثلاثة : أتينا بها إجمالا ، وألقينا عليها ضوءا من إشعاع القرآن لنبين أن نظم الحياة الإسلامية مرسومة فى كتاب الله، وأن الرجوع إليها فى موطنها هذا أجدى على الناس من كل تفكير مستحدث ، وما يجهل ذلك إلا من حيل بينهم وبين تعرفه . وتذوقه ، أو كانت تربيته العلمية على زاد غير زاد التقوى .

وقد تكفل القرآن بزيادة الإيضاح ، وبالحث على تجنب الاستسلام للعدو ، حتى لا يظل الغافلون عن هذا فى عمايتهم ، وحتى لا تكون معذرة للتخلف عن الجماعة الإسلامية فيما نوديت به ووجهت إليه .

ولم يبق بعد البيان الأكيد إلا أن تكون الضلالة طامسة على الوعى ، والفتنة غالبة على المدارك ، والقلب فارغا من الضمير .

ولا حيلة فيمن كان كذلك حتى يهديه الله . . إذا شاء .

« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ، تلقون إليهم بالمودة . . . وأنا أعلم

مكتبتنا العربية

بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل » . « ومن يتولهم منكم فانه منهم ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين » .

وبعد : فنظرة إلى واقع الحياة الحاضرة فى مصر والبلاد العربية تكشف لنا عما كان من تخاذل عن المنهج الإسلامى الحق ، حتى تغلغلت يد الاستعمار فى عنق المجتمع الإسلامى كله ، وامتدت مخالبه إلى شعاب الوطن العربى ، وعشنا حقبة طويلة فى هوان ومذلة .

ولكن بعثا جديدا من فيض الله هز المشاعر الوانية ، وحرك العزيمة الكامنة ، فكان تجاوب العرب عودا على بدء ، وكانت وقفتهم من جديد إيذانا بمشرق حياة ماجدة تأصلت فيهم جذورها ، وأضفت عليهم قديما ظلالها .

وإن مصر والحمد لله لملهمة فى وقفتها ، وكان من مظاهر الإلهام أن يعلن رئيسها المحبوب مبدأها فى التعايش السلمى (نسالم من يسالمنا ، ونعادى من يعادينا) وإن لجمال عبد الناصر لهتافا يخفق له الوطن العربى كله ، ويرتعد له العدو المخادع (إن القومية العربية هى الدرع الواقية التى تحمى الدول العربية من مؤامرات المستعمرين) .

هكذا يا جمال ! !

ففى هذه الألفاظ النيرة روح الحق ماثلا ، وفيها حفز العرب على مبدأ الموالاة فيما بينهم ، والأخذ بالمسالمة لمن يسالمنا ، والحيطة مع الحذر ممن يخادعنا ، فهلموا إليه ياقومنا !

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

مكتبتنا العربية

السنة

جهاد النساء

النساء فى العهد النبوى ـ نساء فى الميدان ـ امرأة تبلى أعظم البلاء ـ بدل كريم ـ النساء بعد عهد النبوة ـ مقنع وبلاغ .

عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : يا رسول الله ، نرى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ؟ قال : لا ، لـكن أفضل الجهاد ، حج مبرور .

وعنها ، رضى الله عنها ، عن النبى صـلى الله عليه وسـلم : سأله نساؤه عن الجهاد فقال : نعم الجهاد الحج . رواهما البخارى

لم تـكن حياة النساء فى العهد النبوى كحياتهن فيما بعد ! ! بل كانت إلى الفطرة النقية أدنى ، وإلى العفة الأبية أقرب . . كانت المرأة فى هـذا العهد ، تستجيب مسارعة إلى دعوة الإسلام ، متأدبة بآدابه ، لا تعدو طورها ، ولا تجاوز حدها ، ولا تحيد عما أعدها الله له ، ولا تزاحم الرجل فيما خصه الله به ، وكل ميسر لما خلق له . . .

كانت ذات حياء ، ولـكن لم يمنعها حياؤها أن تسأل عن دينها ، كى تتفقه فيـه ، وكانت ذات إباء ، ومن أجل ذلك رغبت رغبـة صادقة فى أن تشارك الرجل فى كل ما تستطيع المشاركة فيه ، بل تنافسه فى العـلم والفضل ، والمثوبة والأجر ، وفى كل خير عام ، ما وجدت إلى ذلك الخير سبيلا . . قالت للرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم : غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنـا يوما من نفسك ، فوعدهن يوما لقيهن فيه ، فوعظهن وأمرهن . . . وقالت له صلوات الله وسلامه عليه : ما لنـا لا نذكر فى القرآن كما يذكر الرجال ؟ ! فأنزل الله عز وجل : « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخـاشعين والخاشـعات والمتصـدقين والمتصـدقات والصائمين والصائمـات والحافظين فروجهم والحـافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » [*] .

---

[*] الحديث الأول رواه الشيخان ، وشرحناه فى الجزء الثامن من المجلد الثامن عشر ، والثانى رواه أحمد والنسائى

مكتبتنا العربية

تلك عشرة أوصاف كامله ، هى جماع الخير والبر ، وأساس السعادة فى الأولى والآخرة ، يستوى فى عظيم جزائهـا الرجل والمرأة ، وربما فاقت المرأة الرجل فى بعض هذه الصفات ، فكانت أعظم شأنا عند الله وأرفع مكانا ، وما يمنعها وأبواب الخير لا تحصى ، والله ذو فضل عظيم ؟

* * *

ولم تقنع المرأة فى العهد النبوى بهذا الفضل المشترك ، إلى جانب فضل آخر خاص بها : من الرعاية لزوجها ، والعناية بأمر بيتها ، والقيام على أولادها ، بل همت أن تزاحم الرجل فى أخص خصائصه وهو حمل السلاح فى سبيل الله . . فما إن سمعت الثناء على الجهاد والمجاهدين ، وأن الجهاد أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله ، إلى غير ذلك مما عرضنا لبعضه فى الدعوة إلى الجهاد ، حتى استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجاهد . . استأذنته بلسان أمهات المؤمنين ، وفى طليعتهن ـ رضوان الله عليهن ـ الصديقة بنت الصديق .

* * *

ولقد ساعد المرأة على استئذانها هذا ترخيص رسول الله صلى الله عليه وسلم لها فى ساعة العسرة وشدة الحاجة ، أن تناضل وتقاتل ، وتحمل السلاح لإعلاء كلمة الله ، وتقتحم الميدان لتمريض الجرحى فى سبيل الله . . ففى الصحاح عن أنس رضى الله عنه أنه لما كان يوم أحد ، انهزم الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فرأى عائشة بنت أبى بكر وأمه أم سليم مشمرتين تنقلان القرب على ظهورهما ثم تفرغانها فى أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانها فى أفواه القوم . . وفيها أن الربيع بنت معوذ قالت : كنا نغزو مع النبى صلى الله عليه وسلم فنسقى القوم ونخدمهم ، ونداوى الجرحى ، ونرد القتلى إلى المدينة ! وفيها أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرا فكان معها ، فرآها أبو طلحة زوجها فقال يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الخنجر ؟ قالت : اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرت به بطنه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ! ! .

وممن أبلى أعظم البلاد من النساء فى سبيل الله : أم عمارة الأنصارية ، واسمها نسيبة شهدت بيعة العقبة ، ثم شهدت أحدا وكان معها زوجها زيد بن عاصم ، وابناها منه : عبد الله ، وحبيب الذى قتله مسيلمة بعد ! تروى عنها أم سعد بنت سعد بن الربيع أنها

مكتبتنا العربية

قالت خرجت يوم أحد ومعى سقاء فيه ماء ، فانتهينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أباشر القتال وأذب عنهم بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح إلى ! قالت أم سعد فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور ! فقلت من أصابك بهذا ؟! قالت ابن قمئة ! ثم شهدت بيعة الرضوان . ولما بلغها قتل ابنها حبيب نذرت ألا يصيبها غسل حتى يقتل مسيلمة ، فشهدت اليمامة مع خالد بن الوليد وقاتلت حتى قطعت يدها وجرحت اثنى عشر جرحا !!

* * *

هذا البلاء الذى أبلته المرأة فى القتال ، فى العهد النبوى والعهود التى بعده ، رخصة لها ، بل حق عليها كما هو حق على الرجال ، فى شدة الحاجة ، وساعة العسرة كما أسلفنا . وأما فى غير الحاجة الملحة ، والضائقة المحيطة ، فقد كفاها الله المئونة ، وخفف عنها العبء ، وبدلها بهذا الجهاد الخاص بغير أولى الضرر من الرجال جهادا آخر عاما ، لا يقل أجره ، ولا تنقص مثوبته ، عن جهاد الرجال ، إن أخلصت لله فيه ، وأتمته له ، بريئا من الإثم والرياء ، والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق ، وهذا هو الجهاد الذى لا قتال فيه ، وهو جهاد الكبير والصغير والضعيف ، وهو الحج المبرور الذى لا جزاء له إلا الجنة . .

* * *

تخفيف من الله ورحمة منه بالمرأة ، وبدل كريم قابلته المؤمنة الصادقة راضية مستبشرة ، بلسان أم المؤمنين رضوان الله عليها . . ولقد تجلى هذا الرضا والبشر فى رواية أخرى رواها البخارى أيضا عن عائشة بنت طلحة عن (خالتها) عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله : ألا نغزو أو نجاهد معكم ؟ فقال : لكن أحسن الجهاد وأجمله ، حج مبرور ، فقالت عائشة : فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم زادها رضى الله عنها اقتناعا بهذا البدل ورضا به وطمأنينة له ، ما رأت من انحراف بعض النساء فى آخر عهدها ، عن الجادة المثلى ، بما أحدثن عند خروجهن من زينة لا تذكر بجانب ما أحدثن بعد ذلك من السفور والتبرج ! فتقول رضى الله عنها فيما رواه مسلم عن عمرة بنت عبد الرحمن : لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت نساء بنى إسرائيل . . . وفى هذا مقنع وبلاغ لمن أراد السداد والرشاد . والله المستعان ؛

ط محمد السماكت

مكتبتنا العربية

من هدى القرآن الكريم

قال الله سبحانه وتعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال[١] » . وقال : « ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم [٢] » .

القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد وتبشير وإنذار ، يهدى إلى الحق والصراط المستقيم ، ويرشد الناس قاطبة إلى ما يسبب لهم السعادة والعزة فى دنياهم وأخراهم ، وصدق الله حيث يقول : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » . « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما » . وقد وضع القرآن الكريم الأسس الصالحة التى بها تسعد الأمم وتعز ، وبضدها تشقى وتذل ، وهاتان الآيتان الكريمتان المذكورتان فى صدر المقال تشيران إلى سنة من سنن الله فى الأفراد والأمم والشعوب ، فالفرد أو الأمة أو الشعب ، الذى يأخذ نفسه بأسباب العزة والبقاء لن يضيع سعيه ، ولن يخيب رجاؤه ، وسيبلغ ما تصبو إليه نفسه من العزة القعساء ، وسيتبوأ مكانا عليا بين الشعوب فى دنياه ، فان كان إلى ذلك مؤمنا ، فاز بالنعيم المقيم فى أخراه ، وصدق الله : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » . أما الأمة التى تتنكب عن طريق الهدى والرشاد ، وتتردى فى مهاوى الرذيلة والتحلل والفساد ، ولا تأخذ نفسها بأساليب الحياة العزيزة الكريمة ، فمآلها إلى البؤس والشقاء ، وذهاب الريح والسلطان ، وصدق الله : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم [٣] » . والله سبحانه وتعالى عادل :

---

(١) سورة الرعد الآية ١١ .
(٢) سورة الأنفال الآية ٥٣ .
(٣) سورة الأنفال الآية ٤٦ .

مكتبتنا العربية

« ولا يظلم ربك أحدا » . وهو يكافئ المحسنين على إحسانهم ، والمسيئين على إساءتهم ، ولقد بلغ من عدل الله أن الكافر إذا أحسن فى شؤون دنياه وأعمالها أن يكافئه على ذلك فى دنياه ، وإن لم يكن له شيء فى أخراه . وصدق الله : « من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب [١] » .

والله سبحانه لا يغير ما بقوم ـ من النعمة والجاه والسلطان وحسن الحال ـ حتى يغيروا ما بأنفسهم من خلال الحق والخير والاستقامة والصلاح ، إلى أضدادها من صفات الشر والانحلال والفساد . وكذا لا يغير ما بقوم من الضعف والذلة والهوان ، وفساد الأحوال حتى يغيروا ما بأنفسهم من العقائد الزائغة ، والأخلاق المرذولة ، والأوضاع الزائفة ، والأهواء الجائرة ، ويستبدلوا بها غيرها من العقائد الصحيحة ، والآراء السديدة ، والأخلاق الكريمة ، والفضائل الثابتة التى لا تنهض المجتمعات إلا بها ، وقد أفصح عن هذه السنة من سنن الله فى الاجتماع الحديث القدسى الذى يرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة : « يقول الله تبارك وتعالى : وعزتى وجلالى وارتفاعى فوق عرشى ، ما من أهل قرية ، ولا أهل بيت ، ولا رجل ببادية ، كانوا على ما كرهت من معصيتى ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتى ، إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابى إلى ما يحبون من رحمتى ، وما من أهل قرية ، ولا أهل بيت ، ولا رجل ببادية ، كانوا على ما أحببت من طاعتى ثم تحولوا عنها إلى ما كرهت من معصيتى إلا تحولت لهم عما يحبون من رحمتى إلى ما يكرهون من عذابى [٢] » .

وقد أكد الله هذا الأصل فى القرآن فى آيات أخر فقال : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » [٣] وقال : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ؛ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور » .

---

[١] الشورى الآية ٢٠ .

[٢] أخرجه ابن أبى شيبة وأبو الشيخ وابن مردويه .

[٣] النحل الآية ١١٢ « ٥٥ » سبأ الآيات ١٥ ـ ١٧

والتاريخ شاهد عـــدل، فهاتان دولتا الفرس والروم قديمـا بلغتا فى السلطان والملك والقوة مبلغا عظيما ، فلما تسارع إليهما الانحلال والفساد والإغراق فى الملذات والشهوات لم تلبثا أن انهارتا أمام دولة الإسـلام الفتية ، وها هى دولة الإسـلام الأولى لمـا أخذت بكتاب ربها وهدى نبيها وسادت فيها الفضائل والأخلاق التى يقوم عليها بناء المجتمعات من العدل والتراحم والاتحاد والتآلف والتعاون على البر والتقوى والتناصح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أدال الله لها العروش ومكن لها فى الأرض وبدل المسلمين بخوفهم أمنا وبضعفهم قوة ، ولم يمض قرن من الزمان حتى امتد ملـكهم من غرب الأرض إلى مشرقها ، فلما تهـاونوا فى أمر دينها وصاروا شيعا وأحزابا وساد بينهم الظـلم والجور والتدابر وقل التعاطف والتعاون مكن الله فيهم أعداءهم وصارت بلادهم ـ حقبة من الزمن ـ نهبا مقسما للمستعمرين المستغلين مصاصى الدماء المنتهـكين لحقوق الإنسان .

يا أيها المسلمون فى كل مكان : هذا كتاب الله نتلوه صباح مساء ، ولـكننا لا نعمل به ، وهذه سـنة الله فى الخليقة ولن تجـدوا لسنة الله تبديلا ، أفما آن لنا أن نهتدى بهدى شريعتنا فى كل شأن من شئوننا ، وأن نعود إلى أخلاقنـا وخصائصنا ومقوماتنا ، وندع ما نحن عليه من تقليد الغربيين فى كل ما هو ضار ومفسد ؟ أفما آن لنا أن نقضى على هذا المسخ المشوه الذى ساد مجتمعنا ونعمل على تـكوين مجتمع إسلامى أصيل سليم ؟

إننا ـ معاشر المسلمين والعرب ـ قد بعثنا من جديد وتنبهنا إلى الأخطار المحيطة بنا والمـكايد التى تدبر لنا ، ونجحنا إلى درجة كبيرة فى تحطيم الأغلال والآصار التى قيدنا بهـا الأعـداء فى السياسة والاقتصاد ، ونفض غبار المـاضى المحزن المؤسف ، وعقدنا العزم على أن نـكون لأنفسنا شخصية مستقلة غير تابعة لـكتلة شرقية أو غربية ، وإنمـا قوام هذه الشخصية الإسلام والعروبة ، وللاسلام مقومات وللعروبة مقومات ، ولا يمكن أن تتحقق هذه الشخصية بدون هـذه المقومات وإلا كان الأمر لا يعدو أن يكون دعاوى لا تغنى عن الحق شيئا . فاذا أردنا حقا ـ ونحن اليوم على مفترق الطرق ـ أن نـكون هذه الشخصية الإســلامية العربية المتحررة المستقلة ، فلنغير من كثير من أخـلاقنا وسلوكنا وتقاليدنا التى لا تمت إلى الإسلام ولا إلى العروبة بسبب ، ولنغير من كثير من أساليبنا فى التشريع والتربية والتعليم والصحافة والنشر والإذاعة والبيت والمدرسة والمجتمع ، ونحو ذلك

مكتبتنا العربية

مما له أكبر الأثر فى تكوين هذه الشخصية ، فبدلا من أن تكون هذه الأشياء معاول هدم لهذه الشخصية يجب أن تكون عوامل بناء فى تكوينها وتحققها ، وإلا فكيف تتحقق هذه الشخصية إذا كان البعض يبنى والكثير يهدمون وصدق القائل :

متى يبلغ البنيان يوما تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

إن الأمر أصبح جدا لا هزل فيه ، والأمة الإسلامية العربية تكاد تكون مجمعة على الفائدة المترتبة على تحقيق هذه الشخصية ، والسبيل إلى هذه الغاية معبد ومعروف إذا أخلصنا النية وعقدنا العزم على العمل وإن كان يحتاج إلى جهاد نفسى عظيم .

إننا اليوم فى طور إصلاح وبناء وترميم ، وكل هذا يحتاج إلى المصارحة والتناصح وعدم المداهنة والنفاق ، والعمل على إرساء قواعد الاستقلال فى كل شىء فى السياسة والاقتصاد وفى التشريع والثقافة والأخلاق والعادات .

إن المسألة لا يكفى فيها التذكير ، فان الذكرى إنما تنفع المؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وإنما تحتاج إلى الضرب بيد من حديد على أيدى العابثين المستهترين بمقومات هذه الأمة ودينها وأخلاقها وخصائصها ، وما أحوجنا اليوم إلى قوانين صارمة تكبح جماح العابثين بمصالح الأمة ومستقبلها ، وقديما قال أحد سلفنا الصالح : « إن الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن » وصدق الله حيث يقول : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز » .

ألا إن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها ، فلنحزم الرأى ولنجمع الأمر .

والله معنا بالتأييد والتوفيق ؛

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

مكتبتنا العربية

دعائم المجتمع الاسلامى :

الاسلام يحارب الجشع

الإنسانية الفاضلة مجموعة من الأخلاق الجميلة والخصال النبيلة ، التى تؤهل الإنسان العاقل الرشيد المؤمن لخلافة الله فى الأرض ، والعبودية لجلاله سبحانه ، مع سيادة هذا العالم بالحق والصدق ، والخير والبر . . .

وأول مميزات هذه الإنسانية أن يؤمن المرء بأنه عضو فى جسم كبير هو المجتمع الذى يحيا فيه : يعطيه ويأخذ منه ، ويعينه ويستعين به ، ويعمل له ويستفيد منه ، ويستجيب إليه ويتفاعل معه ، حتى يكون الفرد فى خدمة المجموع ، ويكون المجموع فى خدمة الفرد ، وبهذا التضامن يسعد المجموع البشرى ، ويكسب رضوان الله العلى الكبير .

ومن هنا قال سيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام : « والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » ، وقال : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ! . . . وقال : « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » ! . .

ومن خصائص هذه الإنسانية الرشيدة المجيدة أنها تعصم نفسها أول ما تعصم من رذيلة الجشع ، وهو الحرص الشديد الذى يؤدى إلى الفزع والجزع [١] ، لأن هذا الجشع ينحط بمستوى الإنسان إلى درك الحيوان الذى يجعل همه فى القضم والهضم : « والذين كفروا يتمتعون ، ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » ، ولأنه يجعل الحياة مسبعة ، كل جشع فيها يريد أن يستحوذ على كل شىء ، وأن يحرم أخاه كل شىء ، ولأنه يجعل صاحبه ـ طيلة حياته ـ نهبا للقلق وعدم الاستقرار ، فهو دائما يطلب ، وهو دائما يرغب ، وهو دائما يجمع ، وهو دائما لا يشبع ، مع أن الغنى ليس بكثرة المال والمتاع ، ولكن الغنى الحقيقى هو غنى النفس ورضاها بما قسم لها الله تبارك وتعالى . . . ومن هنا جاء فى الحديث : « القناعة كنز لا ينفد » ؛ وجاء فيه أيضا : « عز من قنع وذل من طمع » [٢] ! . . .

---

[١] الجشع : هو الحرص الشديد ، انظر معجم مقاييس اللغة جـ١ ص ٤٥٨ ، وهو الفزع والجزع انظر النهاية لابن الأثير جـ ١ ص ١٦٤

[٢] انظر النهاية فى غريب الحديث ، جـ ٣ ص ٢٨٠

مكتبتنا العربية

وأوقع ألوان الجشع هو ما يظهر إبان فترات الضيق والشدة التى تتعرض لها كل أمة فى الوجود ، إذ ليست الحياة دائمة النعيم والراحة ، بل هى مزيج من السراء والضراء ، والسعة والضيق ، فاذا ما تعرضت الأمة لابتلاء أو اختبار ، كان من الواجب على أبنائها أن يكشفوا عن نبل عناصرهم ، وسمو هممهم ، وبعد عزائمهم ، وقوة صبرهم ، وشدة تماسكهم ، وصدق تعاونهم ، فيتركوا الكماليات ، ويكتفوا بالضروريات ، ويقفوا فى وجه الشدة صفا واحدا ، ليستطيعوا دفعه ، ويخففوا وقعها ، وبذلك يتحقق لهم وصف المؤمنين : « الصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » . . .

وما أكثر ألوان الجشع التى يوسوس بها الشيطان للانسان أثناء البأساء أو الابتلاء ، ويتخذها منافذ خبيثة لمهاجمة إنسانيته ، وتحطيم دوافع الخير فى قلبه . . . فكنزك المال دون أداء حقوقه ودون الانتفاع به ، نوع من الشح والجشع ، وربك عز وجل يتوعد الذين يجمعون الأموال ، ويرصون بعضها فوق بعض ، فيخبرهم بأنها ستكون وبالا عليهم ونكالا لهم ، وأنها ستكون حصب جهنم ووقود النار التى ستحمى عليهم فى الدار الآخرة ، فيقول : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون » ، والكنز فى الأصل هو المال المدفون تحت الأرض ، ثم أطلق على المال المخزون مما لم يؤد صاحبه زكاته والحقوق المستحقة فيه ، فاذا أدى الإنسان حقوق الله وحقوق العباد فى هذا المال لم يكن كنزا مهما عظم وتضخم ، وفى الحديث : « كل مال أديت زكاته فليس بكنز » ، وفى حديث آخر : « كل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز » ! . . .

واختزانك الزائد عن حاجتك من الطعام أو الثياب أو الوقود ـ وغيرك فى أشد الحاجة إلى مثله أو بعضه ـ نوع من الجشع ، ويزداد هذا النوع من الجشع سوءا وخبثا إذا احتكرت ما تختزنه لكى تتحكم فى سعره وبيعه ، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحتكر إلا خاطئ » أى خاطئ عن الحق بعيد عن الصواب . ويقول : « يا ابن آدم ، إنك أن تبذل الفضل (أى الزائد عن حاجتك) خير لك ، وأن تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف (أى اختصاصك بما يكفيك) وابدأ بمن تعول ، اليد العليا خير من اليد السفلى » .

مكتبتنا العربية

ومحاولتك أن تختلس ما ليس لك ، وأن تأخذ أكثر من حقك المخصص ، وتهضم بذلك حق غيرك ، أو تتوسع فى التنعم والتمتع خلال الشدة التى يعانيها من حولك ـ نوع من الجشع ، والرسول يقول لك : « اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك ، فان كثرة الضحك تميت القلب » .

ومزاحمتك سواك الضعيف حتى تسبقه ، وتعتدى على دوره ، فتنال قبله ما هو محتاج إلى نيله ـ مثلك أو أشد منك ـ نوع من الجشع ، والإسلام يقضى بأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ، ودينك قد قام على العدل والإنصاف ، وربك هو القائل : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط » . وكتاب الله يأمر بالعدل والإحسان ، لأن الله أعدل الحاكمين ، والميزان هو ميزان الإنصاف والقانون الذى يضبط الأعمال وينظم الأحوال ، والقسط هو العدل والمساواة : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعما يعظكم به ، إن الله كان سميعا بصيرا » . . . ويوصيك الرسول فيقول : « وإياك والطمع ، فانه فقر حاضر » !!...

فاذكر أنه ما استحق الحياة من عاش لنفسه فقط ، ولا تنس توجيه ربك : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين » . . . « فاتقوا الله ما استطعتم ، واسمعوا وأطيعوا ، وأنفقو خيرا لأنفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

واذكر أن الحرص ليس من خلق المسلم فى شىء ، والحرص يؤدى إلى المعصية والإثم ، وحاتم الأصم الصوفى يقول : « أصل الطاعة ثلاثة أشياء : الخوف والرجاء والحب ، وأصل المعصية ثلاثة أشياء : الكبر والحرص والحسد » . ويقول : « المنافق ما أخذ من الدنيا يأخذ بالحرص ، ويمنع بالشك ، وينفق بالرياء ، والمؤمن يأخذ بالخوف ، ويمسك بالسنة ، وينفق لله خالصا فى الطاعة » . ويقول : « اطلب نفسك فى أربعة أشياء : العمل الصالح بغير رياء ، والأخذ بغير طمع ، والعطاء بغير منة ، والإمساك بغير بخل » !...

جنبنى الله وإياك مذمة الحرص والجشع ، وجملنا بمحمدة التعاون والإنصاف !...

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

مكتبتنا العربية

احياء العـــــلوم
ونهضاتها المختلفة فى ثقافة أوربا
مستقاة من معين الثقافة الإسلامية

عود على بدء :

أسلفنا فى عـدد مضى أن الحضارة الأوربية والثقافة الأوربية فى شتى مصادرها مستقاة من الثقافة الإسلامية والحضارة العربية ، فقد كانت الحضارة فى عهد العرب الأول بالغة شأو الـكمال ، حتى دخلت أوربا بفتوحاتها المتعاقبـة فنهلت بلادها من الحضارة الإسلامية والعربية ، وأخذت عنها بقسط وفير . غير أن فلاسفة الغرب من الذين أرادوا أن يكون لهم تراث مستقل أخاذ كفروا بنعمة الثقافة الإسلامية ، وادعوا زورا وتضليلا ـ لقرائهم والدائرين فى فلـكهم والضاربين على قيثارتهم ـ أنهم كفروا بهذه الثقافة وأنها من عصارة عقولهم ، وخلاصة أذهانهم ، ولـكن فريقا منهم ممن أرادوا أن يكشفوا عن الحقيقة فى ثوبها القشيب صاحوا من فوق منبر التاريخ والواقع بملء أشداقهم ان الثقافة الأوربية فى مختلف عصورها الأول مستقاة من الثقافة الإسلامية والحضارة العربية .

قال المؤلف جورج ميلر فى كتابه (فلسفة التاريخ) :

« إن مدارس العرب فى أسبانيا كانت هى مصادر العلوم وكان الطلاب الأوربيون يهرعون إليها من كل قطر يتلقون فيها العـلوم الطبيعية والرياضية والفلسفة الميتافيزيقية ، وأصبح جنوب إيطاليا منذ احتله العرب واسطة لنقل الثقافة إلى أوربا » .

وكان ممن تزود بعلوم العرب « جربرت » الراهب الفرنسى ، فبعد أن درس علم اللاهوت فى « أوريان » مسقط رأسه ، توجه إلى قرطبة فدرس فيها الرياضيات والفلك ثلاث سنين ، ثم رجع إلى قومه ينشر فيهم ماتزوده من العلوم ، فرموه بالـكفر والسحر ولـكنه ارتقى إلى سدّة البابوية سنة ٩٩٩ م باسم سلفستر الثانى ، كذلك تخرج على علماء قرطبة « شانجة » ملك « ليون » و « استوريا » . وأوصى الراهب « روجر بيكون » فى كتبه بدراسة اللغة العربية وقال : « إن الله يؤتى الحـكمة من يشاء ، ولم يشأ أن يؤتيها اللاتين ، وإنمـا آتاها العرب » .

مكتبتنا العربية

وذكر « جيبون » فى الفصل الثانى والخمسين من كتابه « تاريخ اضمحلال الدولة الرومانية وسقوطها » : « أن مدرسة « سالرنو » التى نشرت الطب فى إيطاليا كانت من صنع العرب وغرس أيديهم » .

وقال المؤلف « ويلز » الإنجليزى فى كتابه « ملخص التاريخ » وهو من أمهات الكتب التى تدرس فى الجامعات الأوربية اليوم : « جاءنا علم اليونان عن طريق العرب لا عن طريق اللاتين » ، وإن « ليوناردبيز » و « أرمان دفيلنوف » و « ريمون لول » و « هرمان الدلماسى » و « ميخائيل سكوت » و « يوحنا الأشبيلى » و « سان توما » و « البير ليجراند » و « ألفونس العاشر » أمير قشتالة لم يكونوا غير تلاميذ العرب أو نقلة عنهم .

وقال « رينان » الفيلسوف : « إن البير ليجراند » مدين بعلمه كله لابن سينا ، و « سان توما » مدين بفلسفته « لابن رشد » . ويقول « بترارك » شاعر إيطاليا العظيم وهو من شعراء القرن الرابع عشر : « أبعد « ديموستين » يستطيع « سيشرون » أن يكون خطيبا ؟ ، وهل بعد « هوميروس » يستطيع « فرجيل » أن يكون شاعرا ؟ وهل بعد العرب يستطيع جيل من الناس أن يخط بقلمه على القرطاس » ؟

وقال البارون « ديقو » مترجم كل ما كتبه الإمام الغزالى : « إن الميراث العلمى الذى تركه اليونان لم يحسن الرومان القيام به ، أما العرب فقد حفظوه وأتقنوه ، فهم لم يكونوا حفظة وخزنة للعلوم فحسب ، ولكنهم توافروا على ترقيتها وتطبيقها باذلين الجهد فى تحسينها وإنمائها حتى سلموها للعصور الحديثة .

وقال الدكتور سارتون فى إحدى خطبه العامة بالجامعة الأمريكية ببيروت : « إن بعض الأوربيين يحاولون أن ينتقصوا من قدر العرب العلمى فى القرون الوسطى ، وذلك بقولهم : إن العرب لم يكونوا غير نقلة للعلوم ، وهذا خطأ ، وإذا افترضنا أن العرب لم يكونوا غير نقلة ، أليس فى عملهم هذا خدمة كبيرة للعالم ؟ فلولا نقلهم لما تقدمت العلوم تقدمها الحاضر ، ولكنا حتى الآن فى القرون الوسطى » .

الحق أن فضل العرب بثقافتهم الإسلامية على المدنية الحديثة كان من ناحية حفظهم لثقافة غيرهم من الأمم ، ومن ناحية ما أنشأوا وابتكروا وبثوا من روح فى الثقافات القديمة ، وقد بدأ علماء أوروبا يبحثون نواحى تأثير الثقافات الإسلامية فى الثقافة الأوربية ، وكان من آخر ما أظهروا فى هذا الباب كتاب « تراث الإسلام

مكتبتنا العربية

Legacy of Islam » تناولوا فيه أثر الثقافة الإسلامية فى الجغرافيا والتجارة وفى القانون والاجتماع وفى الفن والعمارة وفى الأدب وفى التصوف ؛ وفى الفلسفة وعلم الكلام ، وفى العلم والطب ، وفى الهيئة والرياضيات ، والمتتبع لدراسة المدنيات وتاريخ قوميات الشعوب ، يرى أن تاريخ المدنيات عبارة عن حلقات يسلم بعضها إلى بعض ويستفيد لاحقها بما وصل إليه سابقها ، وكانت المدنية الإسلامية فى الذروة أيام كانت أوربا تظللها سحابة سوداء من عماية الجهل فى القرون الوسطى ، ولم يكن يضارع بغداد وقرطبة مدينة أخرى فى العالم فى مدنيتهما وثقافتهما ونظمهما الإدارية والحربية ، فلولم يكن فى الوجود مدينة بغداد وقرطبة ما كانت حركة إحياء العلوم فى أوربا ؛ ولما كانت النهضة الأوربية الحديثة تبلغ ما بلغت الآن لو لم ترتكز على المدنية الإسلامية والثقافة الإسلامية المنبثة من ضوء بغداد وقرطبة .

ولزيادة الإيضاح ؛ ننظر فى أسس المدنية الحديثة ونبين علاقة هذه الأسس بالمدنية الإسلامية لقد بنيت النهضة الحديثة فى الثقافة على أساسين : وهما الشك والتجربة . وكانت الثقافة فى القرون الوسطى تعتمد كل الاعتماد على آراء اليونان وتقدس آراء أفلاطون وأرسطو كل التقديس ، وكانوا يعتمدون كل الاعتماد على القياس المنطق وحده يؤيدون به المذاهب والآراء ، والقياس المنطق وحده وسيلة عقيمة لأنه يجعلك تسلم بالمقدمات تسليما أعمى وتعنى فيه بالشكل ، فجاءت النهضة الحديثة تشك فى هذه المقدمات العامة وتمتحنها وتجرى التجارب عليها ولا تؤمن بشىء حتى تدل التجارب على صحتها ، وكان هذا دعامة النهضة الحديثة »

والحقيقة أن طريقة المنهج العلمى فى البحث الحديث لم تكن بعيدة عن أذهان المسلمين فالتاريخ يحدثنا أن النظام ألف فى نقد آراء أرسطو ، وأن تلميذه الجاحظ فى كتاب الحيوان يستطلع ما قاله أرسطو فى الحيوان ، ثم لا يمنحه شيئا من العناية ، بل ينقده نقدا جريئا ويقول : « قد جربنا قول أرسطو فلم نجده صحيحا » ويقول : « إن قوله هذا غريب » إلى أن يقول : « وهو قول لا يجيزه العقل » والجاحظ بهذا الانتقاد يجعل عقله الفيصل على أرسطو على حين أن فلاسفة القرون الوسطى جعلوا أرسطو حكما على العقل ، والبيرونى المتوفى سنة ٤٤٠ هـ ـ سنة ١٠٤٨ م ، والذى قال عنه المستشرق الألمانى سخاو : « إنه أكبر عقلية عرفها التاريخ فى كل عصوره » كان يحكم عقله فى الرياضيات ، ويقارن بين نظريات اليونان ونظريات الهند ، حتى لقد ترجم كتابه « الآثار الباقية » إلى الإنجليزية

مكتبتنا العربية

وطبع عام ١٨٧٩ فى لندن، وترجم أيضا كتابه « تاريخ الهند » وطبع فى لندن عام ١٨٨٧م، ويقف الغزالى فى كتابه « المنقذ من الضلال » الموقف الذى وقفه « ديكارت » فيما بعد فيقول : « إنه رأى صبيان النصارى ينشأون على النصرانية وصبيان اليهود على اليهودية ، وصبيان المسلمين على الإسلام ، وإنه لم يقنع بهذا الدين التقليدى التلقينى ، وطلب أن يعلم حقائق الأمور ، وأن يبنى دينه على يقين وقال : « إنه بدأ بالشك فى كل ذلك حتى يقوم البرهان على صحته ، ولم يسمح لنفسه باعتقاد حتى يتأكد من صحته » .

وابن خلدون الذى كان وقوف الغرب على تراثه منذ منتصف القرن التاسع عشر اكتشافا علميا حقا ، حيث ظفر الغرب بكثير من النظريات الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية التى لم يطرقها البحث الغربى إلا بعد ابن خلدون بعصور طويلة . أجل ، اكتشف النقد الغربى بدهشة وإعجاب فى تراث ابن خلدون كثيرا مما ردده ميكيافللى بعدة قرون ، وما ردده منتسكيو وآدم سميث وأوجست كونت بعدة قرون أيضا . وكان المعتقد أن البحث الغربى أول من اهتدى إلى فلسفة التاريخ ومبادئ الاجتماع وأصول الاقتصاد السياسى ، فاذا بابن خلدون يسبق بعصور ويغزو فى مقدمته هذه الميادين ويعرض كثيرا من نواحيها ونظرياتها بقوة وبراعة ، حتى إن المستشرق النمسوى الكبير البارون فون كريمر فى رسالته الشهيرة بالألمانية : « ابن خلدون وتاريخه لحضارة الدولة الإسلامية » اعتبر ابن خلدون مؤرخا للحضارة ، لأنه أول من خصص فصولا ضافية للتحدث عن النظم السياسية وأنواع الحكم والخطط العامة كالقضاء والشرطة والإدارة وتطورها فى الدول الإسلامية ، ثم عن العلوم والفنون والآداب ، وابن خلدون لا يعالج هذه المسائل مستقلة أو لذاتها وإنما يعالجها كصور من العمران ، ومراحل الحضارة مقياس لحضارة العمران .

وعلى الجملة فان الثقافة الأوربية فى مختلف مناحيها لم تكن إلا مستخلصة من الثقافة الإسلامية والحضارة العربية رغم أن فريقا من المتعصبين فى الغرب ادعوها لأنفسهم دون أن يبينوا مراجعها ومصادرها ، لكن المنصفين منهم ردوا كل هذه الثقافات إلى الحضارة الإسلامية والثقافة العربية ، وهكذا يجد الإسلام له أنصارا فى كل عصر وجيل ؟

عيسى طه
المحامى

مكتبتنا العربية

كلمـــــــة الأزهر
فى حفـلة افتتاح الدراسات الاجتماعية

نحمدك اللهم يا واهب الفضل ويامفيض النعمة ، ونصلى ونسلم على نبيك سـيدنا ومولانا محمد بشير الرحمة وهادى الأمة ، ونسألك يا رب : الرضوان عن الصحابة والتابعين

أما بعد : فان الأزهر حين يحفل اليوم ـ فى هذا الحشد الرائع ـ بافتتاح الدراسات الاجتماعية لأبنائه الطـلاب ، برعاية وزارة الشئون والعمل ، فانه يتهلل بشرا حين يبرز للمجتمع طـلابا لهم فى عمق البحث ، وسلامة التفـكير ، وأصالة الرأى ، آفاق يشرقون فيها ، فتضىء علومهم ومعارفهم وبحوثهم جنبات فسيحة من هذا الوطن الإسلامى العزيز .

والعلم ـ أيها السادة ـ هو الركن الأول فى بنـاء هذا المجتمع ، وهو النعمة الـكبرى التى أنعم بها مفيض الآلاء على خلقه ، وهو أكرم منة جاءت فى أول رسـالة من السماء نزلت بالوحى على رسول الإسلام فى قوله تعـالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم) ثم فى قوله تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) .

والعلم المهذب للنفس ، نفحة مليئة باليمن ، تشارف الحواس ببريق كاشف لمعانى الرحمة والحنو ، دال على معـالم البر والسمو ، ثم هـو لا يلبث أن يغشيها حتى تتعشق فيه الفضيلة ، وتتدرج معه إلى الجـلال والـكمال ، فاذا بالعلم عقيدة وثقة ، وإذا به خلق وفضل ، وإذا به بر وإحسان ، وإذا برجل العلم المهذب يهدى بخلقه ، ويسمو بأدبه ، ويؤتى جناه دانيا راضيا . . جزاء وفاقا ، لمـا غرسه أساتذته ومعلموه ، من علم وفضل وأخلاق ، ولسان حاله يقول :

وإنى وإن أحسنت فى القول مرة ... فمنك ومن إحسانك امتار هاجسى
تعلمت مما قلته وفعلتـــه ... فأهديت حلوا من جناى لغارسى

* * *

مكتبتنا العربية

والدراسات العلمية الاجتماعية ، إنما هى ألوان من تجارب الحياة ، وعمق فى بحث التقاليد والعادات ، وتجاوب مع أهداف الدين والفضيلة ، وإخضاع العرف الذى استبدت به الأهواء إلى ما تقضى به الفطرة السليمة ويبصر به العارفون العقلاء .

فالرجل الدينى الاجتماعى منار كل بيئة ، وعمدة كل طائفة ، وحجة كل زمان ومكان .

يعرف واجبه فى الأسرة فيقومها ، ويوجهها ، ويرشد راعيها الأول المسئول إلى واجبه نحو أسرته ، فان كان أبا بين حكم الله الواجب عليه نحو ولده وزوجه ، وإن كان أما بصرها بتبعاتها من شئون البيت ، وتنشئة الأطفال ، وأمانتها وعفتها ، لتعيش الأسرة بهذا الهدى الإسلامى الاجتماعى فى هدأة بال ، واستقرار حال ، وفى نطاق من الأدب وحسن الرعاية .

فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع » وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت» ، وعن أبى أيوب ابن موسى عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن » .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

* * *

والرجل الدينى الاجتماعى يعرف واجبه نحو وطنه ، فيرشد شباب الأمة إلى القوة فى الإعداد ، والاستماتة فى الدفاع ، وأن عزة النصر ، وكرامة الظفر ، إنما تقوم على السواعد المفتولة ، والعزمات الأبية ، وأنه آن للشباب أن يتخلى عن نعومته وليونته ، وتجمله بتصفيف الشعر وتلميعه ، ليكون فى الصف فتى جهاد وجلاد ، يفتدى وطنه وأمته بروحه ودمه ، ليفيد من تضحيته مجدا ، ومن إيثاره خلودا ، فان أمره إما إلى نصر وعزة ، وإما إلى سعادة واستشهاد : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

وقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول : « مثل المجاهد فى سبيل الله ـ والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله ـ كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد فى سبيله ، بأن يتوفاه أن يدخله الجنة ، أو يرجعه سالما مع أجر وغنيمة » .

مكتبتنا العربية

ونحن فى يومنا الحاضر ـ أيها السادة ـ أحوج ما نكون إلى قوة الإعداد والاستعداد ، وإلى سلامة الجبهة ، وتوحيد الصف ، لنقف فى أهبة النضال الحاسم ، تجاه عدو غادر غاشم حتى تسترد العروبة مجدها المؤثل ، ومكانها المرموق . وأمل الوطن كبير فى شباب العروبة أن يكونوا عدته وعتاده ، أسنة مسددة وقنوات لا تلين .

ولقد حدثوا ـ من طرف المجاهدين ـ أن حبيب بن مسلمة قدم على أمير المؤمنين عمر فى حجة ، وكان حبيب تام القامة ، فارع الطول ، فسلم على عمر ، فقال له عمر : إنك لفى قناة رجل . فقال : اى والله وفى سنانها . فقال عمر : افتحوا له الخزائن فليأخذ ما شاء . فترك حبيب بن مسلمة الأموال . . . وأخذ السلاح .

وذكروا أن الإمام الشافعى رضى الله عنه كان يقول :

على ثياب لو تباع جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو تقاس بمثلها نفوس الورى كانت أجل وأخطرا
وماضر نصل السيف إخلاق غمده إذا كان عضبا حيث أنفذته سرى

أيها السادة :

إذا كانت قوامة الدين والأخلاق فى مكانها الجدير بها فى الأمة .

وإذا بلغ الشعب شأوه فى سمو الغاية وجمال المقصد .

وإذا نهضت هذه الدراسات الاجتماعية ، وهى إن شاء الله ناهضة ، بأفراد المواطنين وجماعاتهم فى ريفهم وحضرهم ، فى قراهم ومدنهم ، فى مصانعهم ومتاجرهم ، فى معاهدهم وجامعاتهم ، فى دواوينهم ومصالحهم ، فبرزت لنا المثل العليا فى الصدق ، والعدل ، والإباء ، والإيثار ، والأمانة وعفة اللسان ، وطهارة القلب ، وقوة العقيدة ، وسادت هذه الأخلاق وغيرها ، إذن لعز الإسلام وقويت شوكة الأمة ، وتسامى مجد الوطن ، وإن لكم ـ يا معشر الطلاب ـ فى سلفكم الصالح ، صفحات بيضاء ناصعة ، فاقرأوها ، واحتذوها ، وانسجوا على منوالها لتسعدوا بأمتكم وتسعد بكم أمتكم ، وقد قال الشاعر :

إذا أعجبتك خصال امرئ فكنه يكن منك ما يعجبك
فليس على الفضل والمكرما ت إذا جئتها حاجب يحجبك

وفقكم الله وسدد خطاكم ، والسلام عليكم ورحمة الله ،

محمد عبد الوهاب

المفتش العام للوعظ بالأزهر

مكتبتنا العربية

الاتجاه الى الله

كانت المعركة الرهيبة التى صليت مصر نارها، وخرجت منها منتصرة مرفوعة الرأس، كانت امتحانا خطيرا تكشف عن معادن كريمة تحتفظ بها الأمة العربية، وقد مرت أيام المعركة كريهة قاسية، ليس على الذين يسكنون مصر فحسب، بل على كل عربى، وعلى كل مسلم فى جميع أقطار الأرض، ولئن كان الشعب فى مصر يتابع المعركة بأعصابه وآماله وآلامه، فان الناس هنا فى مكة المكرمة ـ زادها الله تكريما وشرفا ـ كانوا يواجهون المعركة بكل ذلك وبأسف عميق على أنهم بعيدون عن أرض المعركة؛ فالقادرون منهم على حمل السلاح كانوا يحنون إلى ورود هذا الأتون المشتعل، حنين الظامئ إلى المنهل العذب لاعتقادهم أن السبيل إلى الجنة يبتدئ من هذا الأتون، والذين لا يستطيعون حمل السلاح كان الحزن يملأ نفوسهم على أنهم حرموا هذا الشرف الكبير، شرف الدنيا والآخرة، ولم يكن للجميع حديث، بل لم يكن يدور فى خواطرهم إلا ما يتصل بهذه المعركة.

ولكن ما إلى هذا قصدت من هذه الكلمة، وإنما أردت شيئا آخر يرشد إليه هذا العنوان:

إن الذين يؤرخون لهذه المعركة يخطئون أشد الخطأ حين يعدون أسباب النصر، فيهملون منها ما كان من المسلمين من اتجاه إلى الله، ولياذ بساحته، ووقوف تحت بابه، خاشعين ضارعين، مبتهلين إليه أن ينصر المسلمين، وأن يخذل الكفرة الباغين، أعداءه أعداء الدين، ولو أنه أتيح لك ـ أيها القارئ ـ أن تحظى بزيارة بيت الله المحرم فى تلك الأيام، لما خالجك شك فى أن جيش مصر وشعب مصر سينتصران، لما تراه من إخلاص النيات، وحار الدعاء، وكثرة الباكين والراجين، ولقد يملأ نفسك ثقة أن ترى شيخا ـ شاب فى الإسلام ـ يتقدم جموعا كبيرة من المسلمين، ويقف عند باب الكعبة المشرفة ويرفع يديه إلى السماء ويدعو بصوت مرتفع حزين، والناس خلفه يؤمنون على دعائه، بل إنه لرائع حقا ذلك الذى شهدناه فى أيام الجمع، وقد امتلأ المسجد الحرام بالمسلمين من كل أقطار الأرض، والإمام فوق المنبر بجوار بيت الله المعظم يبتهل إلى الله ويقول:

مكتبتنا العربية

اللهم عليك بالانجليز والفرنسيين واليهود ، اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ، اللهم إنهم لا يعجزونك ، فشتت شملهم ، وفرق جمعهم ، وخرب ديارهم ، واجعلهم وأموالهم غنيمة لعبادك المؤمنين ، والمصلون جميعا يجيبون ـ فى لهفة وشوق إلى نصر الله ـ آمين آمين .

بل إنك لتسمع هذا الدعاء وأمثاله فى أى لحظة من الليل أو النهار ، تطوف فيها حول بيت الله الحرام ، فانك ترى الجموع واقفة عند « الملتزم » ، أو تحت « الميزاب » حيث ترجى إجابة الدعوات ، داعية مبتهلة ، وفى الطواف تتواثب إلى سمعك أصوات خافتة ضارعة خاشعة ، من الشيوخ والشبان والنساء والأطفال ، داعية لمصر بالنصر .

إن فراسة المؤمن لا تكذب ، وقد كنا نسمع من بعض هؤلاء المؤمنين تأكيدا بأن الله لا بد ناصر أولياءه ، ولم نكن نرتاب فى هذا النصر ، فان أسلحته عندنا : استعداد للبذل ، فى الأنفس والأموال ، و إخلاص لله ، وتمسك بأهداب الحق ، و إذا اجتمعت هذه الأمور ، كان من فضل الله أن يستجيب الدعاء .

وقد ناط القرآن الكريم الفلاح والنصر على الأعداء بأمرين : أولهما الثبات أمام العدو ، وثانيهما ذكر الله ، والاتجاه إليه ، والاستعانة به ، واستمداد النصر منه ، فقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » ثم علق الفشل ، وذهاب الريح ، وتشتيت الشمل على الاختلاف والتنازع ، وعاد فحث على الصبر والثبات «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين » ولا يخفى أن كل هذه الأخلاق التى اعتدها القرآن من أسباب النصر ، وهى الثبات والصبر وتوحيد الكلمة ـ إنما هى من وحى الاتجاه إلى الله لأنها امتثال لأوامره و وقوف عند حدوده .

والدعاء ـ مع الإخلاص ـ عامل قوى من عوامل النصر ، فقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم على الكفار فى غزوة الأحزاب ، فشتت الله شمل المعتدين ، وسلط عليهم الريح ، فزلزلت أقدامهم ، واقتلعت خيامهم ، ودعا فى مواطن كثيرة أخرى فاستجاب الله دعاءه ، ولكنه الدعاء الذى يصاحبه الإخلاص و يسبقه التمشى مع السنن الكونية من استكمال عدة القتال ، والعزم المصمم على الدفاع عن الدين والوطن .

مكتبتنا العربية

وبعد ، أفما آن لنا أن نرجع نصره الذى وعدنا ، فنسلك الطريق
التى ابتدأنا السير فيها ، فانه قال قما علينا نصر المؤمنين) فاذا كنا
حريصين على ألا يفارقنا نصر الله و كون مؤمنين حقا ، علينا أن نذكر
الله بألسنتنا وجوارحنا وقلوبنا ، فى خاء وفى الشدة ، علينا أن نطهر نفوسنا
وقلوبنا ومجتمعاتنا من كل ما يغضب ى ، ويجرنا إلى سخطه . إن هذه المحنة علمتنا
أن من أقوى أسباب النصر الاتجاه إلى الله تعالى ، وان صاحب الخلق الإسلامى هو
الذى يثبت فى المعركة ، ولا يرهب الموت ، وأن الأخلاق الفاجرة من الميوعة والترف ،
والحرص الشديد على نعيم الحياة وملذاتها لا تخلق رجالا يستطيعون الصبر والصدق فى
القتال ، فهل يعتبر أولئك الذين يدأبون على العمل فى تحليل أخلاق شبابنا ، والزج بهم
فى مهاوى الرذائل ، هل تدرك بعض الصحف ـ مثلا ـ وبعض القائمين على الإذاعة ،
وبعض المشرفين على تربية الناشئة ، أن الخلق الإسلامى الصافى هو أقوى عدة ، وأمضى
سلاح عند شبابنا ، فيتركون تلك العوامل الهدامة التى لا تهيئ الناشئة إلا لانحلال الخلق ،
وضعف العقيدة ، والفرار من الزحف ، يوم يجد الجد ، ويحتدم النضال ؟

إننا فى أشد الحاجة إلى تربية إسلامية صحيحة ، نتلقاها فى المدرسة ، وفى المنزل ،
وفى المسجد ، ومن الصحافة ، ومن الإذاعة ، ومن كل ما يؤثر فى أخلاقنا ، والله يهدينا ،
ويهيئ لنا من أمرنا رشدا ما

مكة المكرمة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

على العمارى

إلى مائة مليون عربى

إذا مصر أم الشرق للغرب أذعنت فليس لهذا الشرق من أمل بعد
وإن دولة الحرمين هيض جناحها فليس حجاز فى الوجود ولا نجد
وإن أسلمت بغداد للخصم أمرها فقد تم للأعداء فى شطرنا الكيد
فيا مائة المليون عربا تآزروا وردوا اعتداء الغرب قد وجب الرد
وأنتم أباة الضيم كيف صبرتمو على الضيم دهرا واستبد بكم وغد
ومن عجب أن يأخذ السيف منكم ليذبحكم ، هذا هو العجب الفرد
أيستخرج البترول من جوف أرضكم ليحرقكم ؛ ماذا انتظاركم بعد ؟
أعدنان أو قحطان ترضى مسبة يقتل أبناها وليس بهم حرد ؟
فما أنتم حقا بأبناء يعرب إذا لم تذودوا عن حماكم وتشتدوا

محمد عبد السلام القبانى

مكتبتنا العربية

بشـ أمة

وإليك تفصيل بعض هذه الآيات ... يء من التقريب والتقليل، واجتناب ما عسى أن تظنه من قبيل التفخيم والتهويل . ... بعض هؤلاء الجند الغالبين أنه قال : بينا نحن محاصرو بهرسير [١] بعد زحف الفرس وهزيمتهم أشرف علينا رسول فقال : إن الملك يقول لكم : هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة وجبلنا ، ولكم ما يليكم من دجلة وجبلكم ؟ أما شبعتم لا أشبع الله بطونكم ! ؟ فبدر الناس أبو مفزر الأسود بن قطبة [٢] وقد أنطقه الله بما لا يدرى ماهو ، ولا نحن ، فرجع الرجل ورأيناهم يقطعون إلى المدائن [٣] هاربين تاركين المدينة للمسلمين ، فلما سئل بعض أسراهم عن سبب ذلك ؟ قال : ما أجبتم به الملك : (أى بلسان فارس) من أنه لا يكون بينكم وبينه صلح أبدا حتى تأكلوا عسل أفرندين بأترج كوثى ، فقال الملك : يا ويله ، إن الملائكة تتكلم على ألسنتهم ترد علينا ، وتجيبنا عن العرب ، فهرب إلى المدينة القصوى ، ولم يبعد هذا الملك فيما عرفه من ذاك . فعن الحسن رحمه الله فى قوله تعالى : « بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » هؤلاء الخمسة آلاف ردء للمؤمنين إلى يوم القيامة .

ولقد كان مما يزيدهم إيمانا وتثبيتا وجرأة وإقداما أن يروا بأعينهم بعض ما كانوا يؤمنون به بالغيب من وعد الله ورسوله . فقد روى أنهم حين دخلوا بهرسير وكان ذلك فى جوف الليل لاح لهم الأبيض (قصر كسرى وإيوانه) فقال ضرار بن الخطاب رضى الله عنه : الله أكبر . أبيض كسرى . هذا ما وعد الله ورسوله ، وتابعوا التكبير حتى أصبحوا . فهل تدرى : متى بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بامتلاكهم هذا القصر الأبيض ؟ ! إنه بشرهم به وهم فى الحصار ، والخوف ، والجوع ، أيام الخندق ، فقد روى أصحاب السير أن المسلمين وهم يحفرون الخندق اعترضتهم صخرة لا تعمل فيها المعاول ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ معولا وقال : بسم الله ، وضرب

---

[١] هى المدائن الدنيا غربى دجلة ، أما القصوى فهى منزل كسرى شرقيها .

[٢] رجل من عامتهم .

[٣] أى القصوى عاصمة كسرى وفيها قصره الأبيض .

مكتبتنا العربية

ضربة ، فكسر ثلث الصخرة، فبرقت برقة أضاءت ما بين لابتيها [١] ، فقال: الله أكبر. أعطيت مفاتيح الشام ، والله إنى لأبصر قصورها الحمر من مكانى هذا ؛ ثم ضرب أخرى وقال : بسم الله ، فكسر ثلثا آخر ، فبرقت برقة أضاءت ما بين لابتيها فقال : الله أكبر. أعطيت مفاتيح فارس ، والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن ، ثم ضرب ثالثة وقال : بسم الله ، فقطع الصخرة ، فبرقت برقة أضاءت ما بين لابتيها فقال : الله أكبر. أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة . ولقد كان من مقالة المسلمين فى ذلك : موعد صادق بارّ : وعدنا النصر بعد الحصر ، أما المنافقون فقالوا : ألا تعجبون ؟! يحدثكم ، ويمنيكم ، ويعدكم الباطل : يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ، ومدائن كسرى ، وأنها تفتح لكم ، وأنتم تحفرون الخندق، ولا تستطيعون أن تبرزوا ، فنزل قوله تعالى : « وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا » وقوله : « قل اللهم مالك الملك ـ الآية » .

ومن هذه الآيات البينات التى أيد الله بها المسلمين فى فتوحهم : ما رواه المؤرخون ، واللفظ للبلاذرى : « أن الفرس لما انهزموا من القادسية قدم فلهم المدائن (أى القصوى بعد إخلائهم بهرسير كما سبق » فانتهى المسلمون إلى دجلة ، وهى تطفح بماء لم ير مثله قط ، وإذا الفرس قد رفعوا السفن والمعابر إلى الحيرة الشرقية ، وحرقوا الجسر ، فاغتم سعد (ابن أبى وقاص قائد الجيش) والمسلمون إذ لم يجدوا إلى العبور سبيلا ، فانتدب رجل من المسلمين فسبح فرسه وعبر فسبح المسلمون ، فقالت الفرس ، والله ما تقاتلون إلا جنا فانهزموا ، وفى روايات الطبرى للقصة أنه لم يفقد منهم فى عبورهم ذاك إلا قدح انقطعت علاقته ، فلم تلبث الرياح والأمواج أن ضربت به إلى الشاطئ فتناوله أحدهم برمحه ، وأنه لم يكن أحد ولا فرس يعيا[٢] إلا وتنشر له تلعة [٣] يريح عليها [٤] وأنهم كانوا يتحدثون فى عومهم كأنهم على الأرض، وقد اقترنوا ما يكترثون . فكان سلمان رضى الله عنه يقول : ذللت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر ، وكان سعد يقول « ذلك تقدير العزيز العليم » .

وإن تعجب فعجب مارواه البلاذرى : ن أنهم حاصروا مدينة ، فاستعصت عليهم فاذا بكلب يخطف خبزا من أحدهم ، فيد ل به مدخلا خفيا من الحصن ، فيفتحون المدينة منه .

[١] اى لابتى المدينة ، وهما ما يحيط بها من إليه الأ حجارة السود .
[٢] يتعب . [٣] تصعد هضبة صغير] يستريح .

مكتبتنا العربية

أما بعد . فان هـذه الرفعة ، والنصرة ، والتمـكين فى الأرض ، التى يبشر بها النبى صلى الله عليه وسلم أمته فى مثل هـذا الحديث الشريف . إنمـا كتبها الله لعباده الصالحين لقوله : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ـ الآية » وقد سبقت ، وقوله : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعـد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » وقد علمت فى تقديمنا للحديث أن المراد بالأمة أمة الإجابة ، فمن عمل منهم للدنيا لا للآخرة كالمراءين والمنافقين فهو مع حرمانه من ثواب الآخرة لا يؤتى من الدنيا إلا بمقدار ما يأخـذ به من الأسباب ـ إن شاء الله ذلك ـ لا فى كل حال .

هذا ومما يصدق الحديث أيضا من كتاب الله ـ قوله تعالى : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » . وقوله : « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغـالبون » . وقوله : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » . ومن أجل ذلك كان عمر رضى الله عنه إذا تأخر عنه خـبر الفتح يقول : ما تأخر إلا لأمر حدث فيهم ، ومن وصيته لسعد بن أبى وقاص : « إنى آمرك ومن معك بتقوى الله على كل حال . فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تـكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ؛ فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تـكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم . ومنه : ولا تقولوا : إن عدونا شر منا ، فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى إسرائيل ـ لما عملوا بمساخط الله ـ كفار المجوس . والناظر فى تاريخ هذه الأمة ليتعرف منازلها من الضعف والقوة : ومن الذلة والعزة ـ ليراها هى بعينها منازلهم من الدين سواء بسواء . حتى كأنما قدّا على مثال ، أو نسجا على منوال : فاذا ما قرأت أخبار فتوحهم ونصرة الله لهم . فكأنما اطلعت على ما تكن قلوبهم من إخلاص الدين ، وصدق اليقين ؛ وإذا ما أتيح لك أن تتبين صورة من استقامتهم فى دينهم ، وطـاعتهم لربهم ، وحبهم لنبيهم ـ فكأنما قرأت وصفا لمجدهم ، وعزهم ، وسؤددهم ، وتمـكينهم على ذلك العالمون ، وجهله الجاهلون .

فاللهم اجعلنا من المؤمنين الصادقين لتتم بنا سبلنا إلى أمجاد آبائنا الماجدين ، أو لنحمى ما أورثونا من مجد ، ودين . لا حول لنا ، ولا قوة إلا بك ، ولا نصرة لنا ، ولا رفعة إلا من لدنك ، ولا أمل نرف ولا رجاء إلا فيك . فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا ما دونها . يا أرحم الراحمين الجنيد ،

محمود فرج العقدة
المدرس بكلية اللغة العربية

ـه الأمامة

مكتبتنا العربية

الثقافة الاسلامية

والحياة المعاصرة

هذا عنوان كتاب نشرته مؤسسة فرانكلين الأمريكية فى العام الماضى ، وهو يشتمل على مجموعة بحوث ألقيت فى مؤتمر عقد بأمريكا فى صيف سنة ١٩٥٣ ، واشتركت فى الدعوة إليه جامعة برنستون ومكتبة الكونغرس . وقد شهده عدد من المسلمين فى شتى بقاع العالم الإسلامى ، بين أندونيسيا والهند والباكستان وإيران والعراق وسوريا ولبنان ومصر . وكل هؤلاء قد اختارتهم أمريكا ووجهت إليهم دعوة خاصة للاشتراك فى المؤتمر ببحوث إسلامية . وكان بازاء هذا العدد من المسلمين عدد مساو له من الأمريكيين المشتغلين بالدراسات الإسلامية . ثم إن المؤتمر قد رأى بعد ذلك أن ينشر عددا مختارا من هذه البحوث فى كتاب ، فعهد بالإشراف على إخراجها وترجمة ما كتب منها بالانجليزية إلى الأستاذ محمد خلف الله عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية . وقد قامت مؤسسة فرانكلين بطبع الكتاب ونشره .

والناظر فى أسماء المشتركين فى هذا المؤتمر ممن اختيرت بحوثهم للنشر يجد أن بعض هؤلاء المشتركين فى المؤتمر من الأمريكان قسس يحترفون التبشير ، مثل الدكتور ميلر بروز أستاذ الفقه الدينى الإنجيلى فى جامعة ييل . وقد كان اتجاهه التبشيرى الهدام واضحا كل الوضوح فى دعاواه التى ساقها فى مقاله للتشكيك فى أسس العقيدة الإسلامية ، كالإيمان بالوحى ، والإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، والإيمان بصدق القرآن الذى أنزل عليه . ومن هؤلاء المبشرين كذلك الدكتور هارولد سمث أستاذ ونائب رئيس قسم الديانات بكلية ووستر بولاية أوهايو . وقد كان هذا القسيس رئيسا لقسم الفلسفة والأخلاق بالجامعة الأمريكية فى القاهرة — وهذا يكشف لنا عن ماهية الدراسات الفلسفية والأخلاقية التى تلقن لأبنائنا فى الجامعات الأمريكية . وبعض هؤلاء الأعضاء الأمريكان الذين نشرت بحوثهم فى الكتاب من مستشارى وزارة الخارجية الأمريكية الذين يخضعون لتوجيهاتها السياسية ، مثل الدكتور روفائيل باتاى الذى كان مستشارا فى شئون الشرق الأوسط بقسم الشئون الاجتماعية بهيئة الأمم المتحدة ، ومثل الدكتور

مكتبتنا العربية

جون كرسويل الذى كان ملحقا للعلاقات الثقافية ببيروت ، والدكتور هارولد ألن مدير قسم التربية بمؤسسة الشرق الأدنى ، الذى شغل مناصب عدة ذات صبغة سياسية فى منطقة الشرق الأوسط ، فكان عضوا بادارة التعليم بمنطقة القوقاز فى مؤسسة إعانات الشرق الأدنى ، وكان بالمركز الرئيسى لتلك المؤسسة فى اليونان ، وكان عضوا فى بعثة منرو للتربية فى إيران ، ومستشارا فنيا ببعثة الشرق الأوسط ، ورئيسا لبعثة اليونسكو فى الدول العربية . ومن هؤلاء السياسيين الأمريكيين الذين شاركوا ببحوثهم فى هذا المؤتمر الإسلامى كذلك الدكتور نبيه فارس الذى كان رئيسا للقسم العربى بادارة المخابرات الحربية بمدينة يورك (وقد كان رئيسا لقسم التاريخ بالجامعة الأمريكية ببيروت) ، والدكتور تشارلز ماثيوز عضو قسم البحوث بشركة البترول العربية الأمريكية بالظهران ، الذى كان ملحقا للعلاقات الثقافية بوزارة الخارجية الأمريكية فى القاهرة .

على أن نظرة سريعة إلى أسماء الباحثين الذين صدر بهم الكتاب تكفى لملاحظة أن الأمريكيين منهم قد اختيروا ممن قضوا وقتا فى الشرق الإسلامى ، وبينهم عدد كبير ممن تولى التدريس فى الجامعة الأمريكية فى بيروت أو فى القاهرة . أما المسلمون فكثير منهم أمريكيو الثقافة ممن تلقوا دراستهم فى فرعى الجامعة الأمريكية السابقين ، أو ممن أتموا دراستهم الجامعية فى الولايات المتحدة نفسها ، وبعضهم قد اختير لما يتوسم فيه من القدرة على توجيه التفكير فى بلده ، كأن يكون أستاذا فى إحدى جامعات البلاد الإسلامية ، أو وزيرا للمعارف فى إحدى هذه البلاد ، أو رئيسا لإحدى الصحف بها . أما النذر القليل من الباحثين المسلمين الذين تبدو النزاهة فيما ألقوا من بحوث فقد استجلبوا لستر أهداف المؤتمر ، ليكونوا كنماذج البائع الغشاش التى يغطى بها بضاعته الفاسدة ليوهم المشترى أن كل بضاعته من ذاك النوع الجيد ، وليكونوا هم العسل الذى يستعان به على إخفاء مرارة الأباطيل ، والدسم الذى يخفى ما حشى به المؤتمر من سموم . على أن هؤلاء الأبرياء ممن تتصف بحوثهم بالنزاهة لم تخل كلماتهم من بعض الانحراف . فالأستاذ مصطفى الزرقا ـ وهو أحد الفلائل الذين يتوسم القارئ خلال بحثهم الإخلاص ـ قد شغل نفسه بتبرير الأساليب العصرية السائدة مما يخالف الشريعة الإسلامية مخالفة صريحة . فأخذ يتحل لها الأعذار ويخترع الحيل لتخريجها ، مثل ما تجده فى ص ١٥٦-١٥٩ فى كلامه عن الحدود وعن الربا . والواقع أن الناظر فى بحث الأستاذ الزرقا يحس من خلاله روحه الإسلامية المخلصة التى تحاول أن تبرز مزايا الشريعة الإسلامية وتحببها إلى قلوب النافرين

منها ، ولـكنه وقع فيما لا بد أن يقع فيه عند ما يلقى بحثه فى مؤتمر غربى يتهم الشريعة الإسلامية بالجمود . فهو يحاول ـ عن حسن قصد ـ أن يشرح لهم مزايا الشريعة الإسلامية ويوضح لهم ما تنطوى عليه من إمكانيات . وطبيعى فى مثل هـذه الحالة أن يشرحها من الزوايا التى تلائم العقل الغربى المعاصر ، وأن يميل بقيمها إلى أقصى ما تحتمله النصوص نحو القيم الغربية ، وبذلك يقع فى الأحبـولة التى دبرهـا له ولأمثاله الغربيون . فهو فى سبيل دفع تهمة الجمود التى يلصقها الغربيون بالشريعة ينحرف إلى أقصى الطرف المناقض فى بيان ما تنطوى عليه الشريعة من مرونة التطبيق حتى يبلغ بهذه المرونة حـد الميوعة وانعدام الذات والمقومات ، التى تجعلها صالحة لأن تكون ذيلا لأى نظام وتبعا للأهواء ، وبذلك ينتهى إلى إلغاء وظيفة الدين ، لأنه بدلا من أن يقوم عوج الحياة بنصوص الشريعة يحتال على نصوص الشريعة حتى يبرر بها عوج الحيـاة المعاصرة ، وذلك واضح فيما ساقه فى ختام بحثه (ص ١٦٠) عن لجنة القانون المدنى المصرى الجديد ، وعن تخريج الأوضاع الاقتصادية السائدة على أسس الفقه الإسلامى .

ومن الطبيعى أن يرد على الذهن فى صدد هـذه البحوث الأمريكية كثير من الأسئلة التى تحتاج إلى إجابة تشفى قلق النفوس ، من العـالمين ببواطن الأمور . فالمسلمون من أعضاء المؤتمر يشغلون مناصب خطـيرة : فيهم الوزير ، وفيهم السفير ، وفيهم الأستاذ الجامعى . وقـد سافر بعض هؤلاء من أقصى المشرق (فى أندونيسيا مثلا) إلى أقصى المغرب (فى أمريكا) . وأقام هـؤلاء فى أمريكا بضعة شهور يتنقلون بين ربوع الولايات المتحدة .

ولا شك أن هذه الأسفار ، لمن هم فى مثل مستوى الأعضاء المدعوين ، قد تكلفت نفقات طائلة ، يضاف إليها نفقات الإقامة الباهظـة ، والحفلات والولائم التى لا بد أن تـكون قد أقيمت فى كثير من المناسبات ، وما دفع إلى كثير منهم من أجور سخية عن البحوث والمحاضرات التى ألقوها خلال إقامتهم وتطوافهم . إذا نظر القارئ فى كل هذا ، أليس من الطبيعى أن يسأل : لأى هدف تنفق هـذه الأموال ؟ وإذا لاحظ القارئ أن كل هذه البحوث تعالج مسائل إسلامية لا تعنى إلا المسلمين ـ وان آخر ما يرد على البال أن يكون المقصود بهذه الجهود الأمريكية هو خفض الإسـلام ، تمهيدا للنظر فى اختياره دينا رسميا للولايات المتحدة الأمريكية ـ أليس من الطبيعى أن يسأل : ما دخل القسس الأمريكيين والدبلوماسيين الأمريكيين فى مشاكل الإسلام ؟

مكتبتنا العربية

وإلى أن يقدم لنا العليمون ببواطن الأمور إجابة شافية عن هذين السؤالين ، لا بأس من أن نحاول نحن تلمس إجابة من بين سطور الكتاب .

فمن الأهداف الواضحة فى هذا المؤتمر العمل على إيجاد ألوان من الروابط والعلائق - باسم الصداقة والتعاون - تحمى المصالح الأمريكية فى البلاد الإسلامية من ناحية ، وتستغل فى تأليب شعوبها على روسيا من ناحية أخرى . يجد القارئ هذه الظاهرة شائعة فى الكتاب كله من أوله إلى آخره . يجدها فى التمهيد الذى كتبه الدكتور بايارد دودج مدير الجامعة الأمريكية السابق فى بيروت ، حين يشير إلى أن العلاقة بين المسيحية والإسلام كانت علاقة عداء ، وأن عليهما الآن أن يتحدا ليواجها المادية التى تحاول هدم الاعتقاد فى القيم الروحية (ص ١٦) . ويجده فى كلمة الدكتور ميلر بروز حين يتكلم عن القيم الروحية المهددة بالمادية والدنيوية (ص ٥٣) . ويجده فى كلمة الدكتور هارولد سميث عند كلامه عن التفكير الإسلامى الذى (لا يمكن إطلاقا أن يتفق والجبرية الاقتصادية أو التفسير المادى للتاريخ ، اللذان يعتبران أساسين فى المذهب الماركسى (ص ٧٥) . ويجده فى كلام الدكتور جون كرسويل عن اتفاق المدنية الإسلامية والمدنية الغربية فى المثل الأخلاقية وفى الطبيعة الأساسية للأشكال الحضارية التى تتخذانها (ص ٢٠٥ - ٢٠٦) . ويجده فى كلمة الدكتور كنيث كراج التى تدور حول إبراز عناصر الإلحاد فى الفلسفة الشيوعية ، ولفت النظر إلى خطرها وإلى مطامعها التوسعية ، والتقريب فى الوقت نفسه بين الإسلام والمسيحية ، وإبراز نقط الاتفاق فى تعاليم الديانتين وروحيهما ، والتدرج من ذلك كله إلى اقتراح تعاون الإسلام والمسيحية فى درء خطر الشيوعية . (ص ٢٣٠ - ٢٣١) .

ولكن الدعوة إلى هذه الصداقة تتخذ شكلا خطيرا تخطئه اللباقة فى إخفاء المطامع الجشعة ، فى كلمة الدكتور جون كرسويل الملحق الثقافى السابق فى بيروت . فهو يعترف بأخطاء أمريكا وبأخطاء الاستعمار الغربى فى العالم الإسلامى ، محاولا أن يبعث الطمأنينة بهذا الاعتراف فى نفوس المسلمين . وبعد أن يشير إلى ما تستطيع أمريكا أن تقدمه من مساعدات اقتصادية ، وبعد أن يشير إلى ما يربط الإسلام والغرب من أواصر وما تلتقى عنده مثلهما من نقاط ، بعد ذلك كله يتجه إلى هدفه ، وهو التنبيه إلى خطورة المطامع الروسية ، واقتراح تنظيم هيئة مشتركة للدفاع عن هذه المنطقة ، مع ما يستلزمه ذلك من (البحث الجاد فى العدد والإمكانيات العسكرية لكل دولة من

مكتبتنا العربية

الدول المتعاقدة . وإذا كانت هذه غير كافية فى الحروب الحديثة ، وجب أن تكون هناك مساعدة وتوجيه من جانب الغرب فى قيادة الجيوش وتدريبها وإعدادها (ص ٢٠٨ — ٢١٣) .

ومثل هذه المطامع الجشعة واضحة أيضا فى كلمة الدكتور تشارلز ماثيوز عضو قسم البحوث بشركة البترول فى الظهران ، الذى كان قبل ذلك ملحقا للعلاقات الثقافية بوزارة الخارجية الأمريكية فى القاهرة — واعجب معى للصدف الغريبة التى ساقت أحد رجال وزارة الخارجية الأمريكية للعمل فى قسم البحوث بشركة للبترول فى قلب الصحراء . وقسم البحوث هذا شئ مريب تثير أعماله الشكوك وتدعو إلى التساؤل . فهذه الشركة — والمفروض أنها شركة للبترول فحسب — تقوم ، حسب ما قرره هذا الموظف المسئول فى كلمته ، ببحوث تاريخية وجغرافية واقتصادية وجيولوجية وطوبوغرافية وطبيعية وقانونية ودينية فى جزيرة العرب (ص ٤٦٠) . ويرسم قسم البحوث الخرط لمختلف المواقع ، ويتصل بالناس من مختلف البيئات ، ويمارس هذه الجاسوسية التى تخفى نشاطا حربيا مريبا تحت ستار البحوث العلمية (ص ٤٦٢) . وينقبون فى كل مكان من شرق الجزيرة العربية والربع الخالى ، ثم يزعمون أنهم يفعلون ذلك بقصد كتابة تاريخ لشرق بلاد العرب منذ أقدم العصور ، وأن دراستهم قد كشفت عن تشعب البحث ، مما يستغرق وقتا طويلا (ص ٤٧٧) . ألا يذكرنا كل ذلك بالخرائط والبحوث التى كان يقوم بها الجاسوس الإنجليزى المشهور لورانس ، والتى استغلت فى الحرب العالمية الأولى ؟ ومع ذلك كله تنتحل الشركة لنفسها صفة غريبة حين تزعم أنها مسئولة عن أن تصور للغرب ماذا كان العرب فى التاريخ ، ومن هم اليوم ، ومدى أهمية صداقتهم للعالم الغربى « الديمقراطى » (ص ٤٨٠) .

هذا هو بعض ما نقرأه فى سطور الكتاب مما ألقى فى المؤتمر ، وقد لا يكون فيه خطر كبير ، مادمنا يقظين ، ومادمنا نستطيع الاحتفاظ باستقلالنا الذى يمنعنا أن نكون ذيلا للشرق أو للغرب ، فهو دعاية كالدعايات التى تبذلها كل الدول ، محاولة كسب الرأى العام فى مختلف الدول إلى جانبها .

أما الجانب الخطر من أهداف هذا المؤتمر فهو فى الجهود المبذولة لهدم الإسلام ، أو تطويره وجعله آلة من آلات الدعاية الأمريكية والغربية ، فهذه الصداقة التى تريد

مكتبتنا العربية

أمريكا أن تقيمها لتحل محل الصداقات الانجليزية والفرنسية التى تقلص ظلها عن هـذه المنطقة ، إنمـا يقصد بها أن تكون هى الحارس الذى يقوم على حماية مصالحها المتعددة فى الشرق ؛ بمـا تتضمنه من مواد أولية ومن أسواق ، هذه الصداقة المنشودة تريد أمريكا أن تملأ بها الفراغ الذى أكثرت من الحديث عنه فى هذه الأيام ، والمقصود بهذا الفراغ هو الصداقة التى أقامتها الدولتان الاستعماريتان المحتضرتان ـ فرنسا وانجلترا ـ والتى لا يزال سماسرتها أحياء يتلمسون الوسائل إلى الارتزاق على مائدة أمريكا بعد أن طويت مائدة انجلترا ومائدة فرنسا . هذه الصداقة المنشودة لا تقوم ـ إن قامت ـ إلا على أساس من المشاكلة والتفاهم المتبادل ، الذى تلتقى عنـده وجهات النظر ، وتتقارب فيه الطباع والأمزجة ، وهذه المشاكلة لا تقوم إلا بتقارب القيم الأخـلاقية والاجتماعية ، وهذه القيم لا تتقارب ما دامت الشعوب الإسلامية تعيش على قيم ثابتة تخالف قيم الغرب ، وهى قيم الإسلام فلا بد إذن من أحد حلين : إما أن يحى هذا الإسلام بتشكيك الناس فيـه وفى قيمه وفى الأسس التى يستند إليها ، ويحاصر بحيث لا يتجاوز نفوذه المسجد ، وبحيث يفقد سيطرته على مسلك الأفراد فى حياتهم الاجتماعية ، وذلك عن طريق إقناع النـاس بأن الدين شىء ومشاكل الحياة شىء آخر ، وإما أن يخضع هذا الإسلام للتطور بحيث يصبح أداة لتبرير القيم الغربية ، ولتقريب ما بين الشعوب الإسلامية وبين الغرب ، وهذا الطريق الأخير يكشف عن قوة هائلة لا يغنى غناءها شىء ، إذا أمكن استخدامها كأداة لتحقيق الأهداف الأمريكية فى إقامة علاقة ثابتة من الود والتفاهم [١] . على أن الأسلوب الأول بشقيه ـ هدم العقيدة من ناحية ، ومحاصرتها من ناحية أخرى ـ هو أصلح تمهيد لإقناع المسلمين بتطوير قيم الإسلام . فهذا التطوير لا بد ـ لكى يثمر ثمرته المرجوة ـ أن يحـدث بأيدى المسلمين أنفسهم ، وهم لا يفعلونه إلا إذا ضعف يقينهم بالإسلام . فاعتقدوا أنه يتعارض مع حاجات الحيـاة من ناحية ، أو تعودوا إهماله وعدم التقيد بالتزام قواعـده فى شئون الحياة من ناحية أخرى ، اقتناعا منهم بأن دائرته لا تتجاوز شئون العبادات ، ولا تتعداها إلى المعاملات .

ونحن نجـد صورا من كل هـذه الأساليب الهدامة فى مقالات الذين شاركوا فى هذا المؤتمر .

---

[١] راجع كلام جوستاف فون جرونباوم فى هذا المعنى ص ١٩٢ ـ ١٩٣

مكتبتنا العربية

أما الدعاوى الهدامة التى يقصد بها إضعاف الثقة فى الإسلام، تمهيدا للقول بضرورة إعادة النظر فيه وتطويره، فأنت تجدها فى مثل مقالة القسيس ميلر بروز، حين يطالب بوضع (تجربة الدين) و (تجربة النبوة) والمعجزات والصلاة والحياة الآخرة موضع البحث، وإخضاعها لقواعد علم النفس الحديثة التى تقوم على الحدس، والتى تخضع هى نفسها للتغيير والتبديل. وهو بذلك يجعل التدين مسألة ذوقية وهمية، ليس لها وجود حقيق فى خارج نفس صاحبها الذى يتذوقها (ص ٤٤، ٤٨، ٤٩). بل هو يتطاول إلى أبعد من هذا فيتحدث عن أسلوب الله سبحانه وتعالى فى العمل، يريد أن يجعله موضع البحث والنظر (ص ٤٩). وتجد هذه الدعاوى الهدامة كذلك فيما يسوقه هذا القسيس من مزاعم لا ترقى لأكثر من منزلة ما يسمونه الفروض العلمية، يسوقها على أنها حقائق ثابتة قد فرغ من صحتها وسلامتها، ويقارن بينها وبين بعض الآيات القرآنية، ليوهم بأن ما جاء به مخالف للواقع، وايرق من ذلك إلى القول بأن الوحى ينزل بما يلائم الزمان والمكان، ولذا فهو فى حاجة إلى المراجعة والتصحيح الدائمين (ص ٤٦ - ٤٧). وتجدها كذلك فى مثل ما يزعمه القسيس هارولد سمث من أن جميع الصياغات اللفظية نسبية، ومن ثم فهى غير معصومة، ويجب تعديلها بين حين وآخر (ص ٧٤).

أما محاصرة الدين لتضييق دائرة نفوذه وقصرها على شئون العبادات، وإلغائها فى المعاملات التى يقوم عليها تنظيم المجتمع، فأنت واجدها فى مثل عرض القسيس هارولد سمث الجذاب الخادع لما يسميه (نظرية ضياكوك ألب فى فصل الدين عن الدولة). وضياكوك ألب هذا - كما يقول القسيس الأمريكى - هو (واضع الأسس النظرية للدولة التركية الحديثة) « ص ٧٠ - ٧٣ ». وتجدها كذلك فى مثل قوله فى نهاية بحثه (إنه لو أمكن الإبقاء على الصلة بين الدين والدولة، دون أن يؤدى ذلك إلى محافظة متعصبة تجرح وتبطل أى فكرة أو نظرية جديدة، على أساس أنها معارضة للمبادئ الدينية المصطلح عليها أو العرف الدينى المألوف، ولو أمكن كذلك أن تخلص الصلة بين الدين والدولة من العصبية ومن السياسة الاجتماعية الرجعية، لو أمكن هذا كله لكانت هذه الصلة قوة حقيقية فى المجتمع ... وفى رأيى أن على المخلصين والوطنيين من قادة المسلمين أن يزنوا أدق الوزن ما لهذا الموضوع وما عليه، قبل أن يبرموا قرارهم فى شكل متحجر يصبح من العسير نقضه - ص ٧٧) ».

محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربى بجامعة الاسكندرية

« يتبع »

مكتبتنا العربية

لغويات

استلف واستسلف

عرضت فى مقال سابق فى « لغويات » لصيغة « استلف » الشائعة فى ألسنة الناس . وكان الأستاذ الجليل الريدى أنكرها إذ لم ترد فيما وقف عليه من المعاجم ، وإنما الوارد فيها استسلف وتسلف . وذكرت هناك أن « استلف » جاءت فى أساس البلاغة للزمخشرى فهى لذلك غير منكرة تنتفى عنها هجنة العامية ، وتحل مع أختيها فى المكانة .

وقد تفضل الأستاذ الكبير الشيخ القبانى فعنى بهذا المبحث ، وكتب فى هذه المجلة الكريمة (جزء رجب ١٣٧٦) مقالا فيه . وهو يرى أن استلف تؤدى مالا تؤديه استسلف وكلتاهما صيغة قياسية لا تحتاج إلى سماع ، وقد فاته أن المعنى الذى يؤديه الناس بالاستلاف يؤدى بالتسلف فيما ورد فى القاموس واللسان والمصباح ، فلا يضر اللغة ألا يكون فيها استلف .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

والذى يستحق التعليق والتعقب من بحثه هو أن الصيغ التى تحدث بالزيادة قياسية . وأذكر هنا نبذا من كلامه يبين فيه غرضه وما يراه فى هذا المقام : « والذى ألاحظه على الأستاذين الفاضلين الريدى والنجار أن كلا من استلف واستسلف صواب فى موضعه ، وأن استلف غير استسلف ، مثل اقترض واستقرض . فمعنى الأولى أنه أخذ قرضه وأخذ سلفة ، وأما الصيغة الثانية ذات السين والتاء فمعناها : طلب سلفة وطلب قرضة . فصيغة افتعل صحيحة فى بابها ، وصيغة استفعل كذلك صحيحة فى بابها قياسية كل منهما فى معناها فلا نصوّب واحدة بأخرى ؛ لأن الصيغتين لم يردا لمعنى واحد حتى نصحح واحدة ونخطئ الأخرى ، بل هما صيغتان صرفيتان لمعنيين مختلفين متقاربين » .

فانظر كيف يرى الأستاذ أن صيغتى الافتعال والاستفعال قياسيتان أى أنهما لا تحتاجان إلى سماع عن العرب ، وعلماء العربية يرون غير هذا . فالرضى فى شرح الشافية ١ / ٨٤ يقول : « والأغلب فى هذه الأبواب ألا تحصر الزيادة فى معنى ، بل تجىء لمعان على

مكتبتنا العربية

البدل ، كالهمزة فى أفعل تفيد النقل والتعريض وصيرورة الشيء ذا كذا . وكذا فعّل وغيره وليست هذه الزيادات قياسا مطردا ، فليس لك أن تقول مثلا فى ظرف : أظرف . وفى نصر : أنصر . ولهذا رد على الأخفش فى قياس أظن وأحسب وأخال على أعلم وأرى . وكذا لا تقول : نصّر ولا دخّل . وكذا فى غير ذلك من الأبواب ، بل يحتاج فى كل باب إلى سماع اللفظ المعين ، وكذا استعماله فى المعنى المعين ، فكما أن لفظ أذهب وأدخل يحتاج فيه إلى السماع ، فكذا معناه الذى هو النقل مثلا . فليس لك أن تستعمل أذهب بمعنى أزال الذهاب أو عرّض للذهاب أو نحو ذلك » . ويقول ابن جماعة فى حاشيته على شرح الجار بردى للشافية ٤٥ فى الكتابة على قول ابن الحاجب : وأفعل للتعدية ... « واعلم أن المعانى المذكورة لهذا البناء وغيره مما سيأتى يسمع ويحفظ ، وليس شيء منها مطردا ، وهو نظر لغوى » . وقد بحث المجمع اللغوى بالقاهرة قياسية بعض الصيغ فى حدود وقيود ، ولا أعلم أحدا أطلق الأمر فيها ، كما يرى الأستاذ القبانى .

وقد جاء فى كلام الأستاذ : « كما أن الماجم إذا أهملت ذكر بعض الصيغ فى مادة لا يقتضى ذلك أن الصيغ القياسية الصرفية مهملات ذكرها لا تكون صحيحة فى ذاتها لعدم ذكر المعاجم لها . وإلا لما كان هناك من الحاجة إلى علم الصرف وقواعده » . وهذا كلام حق فالصيغ القياسية لا تتوقف صحة [illegible] إيرادها فى المعاجم ، وهذه الصيغ كأسماء الفاعلين والمصادر القياسية ، وتأنيث [illegible] من الأوصاف ، فأما صيغ الأفعال الناشئة بالزيادة على الثلاثى كالافتعال والتفعل فليست قياسية كما سبق لك ، فلا يعتمد شيء منها إلا إذا ورد به السماع ، خلا ما ترخص فيه المجمع اللغوى وما أجازه بعض النحويين كالتعدية بالهمزة أو التضعيف ، وليس هذا موطن ذكره .

وكنت قد عرضت فى بحثى السالف لما جاء فى مستدرك التاج : « استلف من أعرابى بكرا » وقلت : إن استلف فيه محرفة عن استسلف كما ورد فى النهاية التى هى مصدر التاج ، والمسألة مسألة رواية ، فردّ الأستاذ القبانى أن كلتا العبارتين صواب ، وقد علمت أن العبارتين لا تستويان فى السداد والصواب إلا إذا استوتا فى السماع عن العرب ، وأن البحث فى الرواية ، فكان عليه أن يتحرى ورود استلف وصحتها .

وورد فى أثناء كلام الأستاذ كلمتا قرضة وسلفة للمال المأخوذ قرضا أو سلفا ولم أقف عليهما فى اللغة . وورد فيه هذه العبارة : « لأن الصيغتين لم يردا لمعنى واحد »

مكتبتنا العربية

وأحسب أن الصواب : « تردا » ومجازه أن تؤول الصيغتان باللفظين ، وإذا استساغ العربيّ أن يقول : جاءته كتابى يريد رسالتى ساغ لنا هذا التأويل ، وإن لم يكن لنا ما للعرب ، والخطب ـ كما يقولون ـ سهل . والله الموفق للسداد .

محمد بن محمود

يكثر هذا فى أعلام إخواننا فى شمالىّ افريقية . فسلطان مرّاكش هو محمد بن يوسف وتسمع : محمد بن عبود بكسر الباء . وهذا تحريف تأباه العربية . وهو خطأ قديم نبه عليه ابن كمال باشا مفتى القسطنطينية المتوفى سنة ٩٤٠ . فقد جاء فى رسالته (التنبيه على أغلاط الجاهل والنبيه) : « ومنها (الابن) . يقطعون ما قبل الابن الواقع بين العلمين عنه ، ويكسرون باءه مبتدئين بها ، ويسكنون آخره ، فيقولون : أحمد بن محمد مثلا . وقد شاع هذا بين الناس حتى كاد لا يتحاشى عنه الخاصة أيضا لاعتياد الألسن له . والوجه الوصل ، إذ لولاه لما سقطت الهمزة » .

وكأنّ هذه الصيغة فى الابن تسربت إلى لسان أهل المغرب من اليهود ، وهم هناك كثير ، فمن لغتهم العبرية بن فى ابن ، ومن ذلك بنيامين ، فهو عندهم علم أصله بن يامين أى ابن (١) اليمين . وهو فى الأصل علم شقيق يوسف عليه الصلاة والسلام . قيل : سماه أبوه يعقوب عليه الصلاة والسلام إذ كان ابن زوجه راحيل وكانت أثيرة لديه بمنزلة يده اليمنى ، فهذه الصيغة جرت فى لسان أهل المغرب ثم انتقلت إلى لسان الترك ، وكانوا على صلة وثيقة بافريقية .

كويس

يجرى هذا الوصف ومؤنثه كويّسة على ألسنة الناس فى الوصف بالجودة ونحوها من أوصاف الاستحسان . وهو تصغير كَيِّس وصف من الكَيْس وهو الظرف والعقل . وترى أن عينه ياء فكان الوجه أن يقال : كُيَيِّس . ويخرّج على مذهب الكوفيين الذين يجيزون قلب الياء فى مثل هذا واوا لمكان الضمّة قبلها ، فيقولون فى تصغير عَيْن : عُوَيْنة وفى تصغير شَيْخ : شُوَيْخ ، وفى تصغير بيت : بُوَيت

(١) انظر الجاسوس على القاموس ٣٩٩ .

مكتبتنا العربية

وترى أن الناس توسعوا فى معنى الكَيْس فى كويّس ، فأطلقوه على كل معنى يُحمد ويرغب فيه . وهذا التوسع قديم . فقد جاء فى الباب التاسع من كتاب الحمق والمغفلين لابن الجوزى قصة إمام كان يطيل القراءة فى الصلاة ، فكره الناس ذلك ، وطلبوا منه التخفيف ، فاستجاب فكبّر وقرأ الحمد ، ثم فكّر طويلا وصاح بهم ، أيْش تقولون فى عَبَس ؟ فلم يكلمه أحد ، إلا شيخ أطول لحية منه وأقل عقلا فانه قال : كيِّسه ، مرّ فيها .

محمد على النجار

تراث إسلامى

فى رجاء إلى باعث القومية العربية الرئيس جمال عبد الناصر

إنه تراث الشاعر الكبير المرحوم أحمد محرم ، فى الأدب والشعر ، وفى سبيل الأمجاد الإسلامية بخاصة ، هـذا التراث الذى التهم من عمره أكثر من نصف قرن ، والتهم من حياته كل ما ظفر به بعض زملائه من رغد العيش ، ومن الأمن والدعة ، ومن المكانة التى لم يكن لهم إليها من سبيل غير ما غرف عنه محرم .

لقد تفرد الشاعر بالوفاء لنفسه ووطنه وشعره ودينه حتى آخر نفس فى الحياة ، وكان الشاعر الوحيد الذى سبق عجلة الحوادث فى مصر بنصف قرن يوم هاجم فى قوة وصراحة الملكية والملوك ، وندد بالرتب والألقاب ، فقال فى عام ١٩٠٨ :

كذب الملوك ومن يحاول عندهم شرفا ويزعم أنهم شرفاء
رفعوا العروش على الدماء وإنما تبقى السفينة ما أقام الماء !

ولعل هذا الموقف ـ وغيره كثير فى حياة الشاعر ـ هو الذى جنى عليه وعلى شعره ؛ فعاش ومات دون أن يحفل بتراثه .

فهل لى أن أقدم على صفحات « الأزهر » إلى قائد الثورة المباركة ، وباعث القومية العربية المظفر ، الرئيس جمال عبد الناصر ، رجائى فى أن يتم هذا الفضل على يديه ، حتى تتحقق باذن الله هذه الغاية . إنى أرجو وأؤمل ، والله المسئول أن يوفقنا إلى ما فيه الخير لنا

إبراهيم عبد اللطيف نعيم

مكتبتنا العربية

فلسفة العمر :

مضى !

ما الذى مضى ؟ بل ما هو الذى لم يمض ؟ !

زمن الشباب يمر سريعا ، كأنه حلم لذيذ ، تعقبه حقيقة اليقظة ، وهى الرجولة الكاملة ، يزداد فيها المرء خبرة وحنكة ، وسدادا فى الرأى ، ومضاء فى العزيمة ، ويلفى نفسه محوطا بكثير من المشاكل والأفكار والأسرار ، تلك التى تزيده رغبة فى كشف غوامضها ، وهتك أسرارها ، ومهارة فى سبر أغوارها ، ثم استكناه كنهها ، والوصول إلى معرفة حقائقها : يدق إحساسه ، وينمو إدراكه ، فيوازن بين أعماله فى نزوات الشباب وبين أعمال الرجال الناضجين السابقين منهم واللاحقين ، وسرعان ما ينجم عن هذه المقارنة احتكاك يقدح زناد فكره ، فيلقى على عقله نورا ، ويبعث فى جسمه نشاطا ، حيث يخوض معمعان الحياة بهمة عالية ، وعزم ثابت ، ويسير وئيدا ، ولكن بخطى متئدة رزينة صوب المجد والسؤدد ، ويتدرع بالصبر فى ميدان الجهاد ، ولكن الشعور بالفوز لا يفارق يقينه : يغالب الصعاب فيغلبها ، ويصارع الشدائد فيصرعها ، وما هى إلا أن يقف على أطلال من أنقاضها المتداعية ، وقد أخذته نشوة النصر والظفر .. وهل ثمة أشهى من الظفر بعد طول الجهاد ـ ! يلوح بكلتا يديه فى الأفق إشارة العظمة الحقة ، التى يستمد مقوماتها من أعماق نفسه ، ويلتمس أسبابها من شغاف قلبه ، ثم تنفرج شفتاه عن ابتسامة الراحة والاطمئنان والاعتداد بالنفس ، ويختلج صدره بكلمة لا يقوى على احتباسها ، يدفعها إلى فيه فتخرج حارة مدوية تشق أجواز الفضاء : هنيئا للصابرين ! وعلى الفور يسمع لحنا شجيا يملك عليه مشاعره ، ويهز نفسه هزا ، فيلتفت يمنة ويسرة ، كأنه يحاول أن يعرف مصدره ، فيستجلى فيه هذه الروعة وذياك الجلال ! ولكن على غير طائل . وإذا بصوت من نفسه يناديه ـ وفر عليك بحثك ، هذا لحن العصاميين يوقعونه على أوتار قلوبهم : ـ

مكتبتنا العربية

لنستسهلن الصعب أو ندرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر ! !

ولعمر الحق ان أكبر مسئولية تقع على المرء ، إنما تكون عند استكمال أسباب الرجولة ، وفى فترة العمر الواقعة بين الشباب والهرم ، إذ تتزاحم عليه الواجبات الخاصة والعامة ، وتتنازع جهوده مطاليب الحياة ، وتتجلى أمام عينيه حقيقة هامة لا يستطيع أن يغض طرفه عنها ، وهى أنه ـ وإن كان رجلا حرا طليقا تجاه نفسه ـ فانه مقيد تجاه غيره بقيود وقوانين عامة . لا يسوغ له التحلل منها ، ولا انتهاك حرماتها .

وفى غضون تلك المرحلة من العمر تبلغ عواطف المرأة نهاية الارتقاء ، وفى مقدمتها تلك العاطفة الشريفة نحو الحياة الزوجية ، وتكوين أسرة تشكل لبنة فى صرح الوطن الشامخ العتيد ! ولا يلبث الزواج أن يثمر ثماره الحلوة ، تتدلى من غصون هذه الشجرة المباركة ، زينة وبهجة ومسرة للوالدين . نظرة إليها تنسى الناظر آلام نفسه ، وتمسح عن فؤاده آثار الهموم ! يرى الرجل أولاده ينعشون أمله ، فيشعر أن كبده هى التى تدب على الأرض ، حيث يردد قول القائل :

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ليت شعرى ـ ألا توجد فى حياة كل رجل أوقات يخطر بباله فيها أن نفسه إنما هى قبس من نور عظيم سام ، وأنه كلما ازداد اقترابا من قصده ، حيث السمو النفسى ، والكمال الروحى ، والشجاعة الأدبية ، قرب من موطنه الأبدى ، حتى كأنه صار أليف الملائكة ؟ ! .

إن قوة القريحة ، وصلابة الإرادة ، وثبات الرأى ، هى أفضل ما يؤيد الرجل فى مرحلة الرجولة ، ويجعله يدوس الصعوبات والأخطار ، كما يدوس الفتى كومة الهشيم إلى طلب ما يتمناه ! !

فالإرادة هى التى تجعل الرجل جبارا ، وهى نفسها التى جعلت « خالد بن الوليد » و « عمرو بن العاص » مثلين رائعين للشجاعة والبطولة ، ومن « باكون » سابر أغوار الطبيعة ، ومن « بيرون » مؤدب العواطف ، ومن « الشهداء » سادة الموت ! !

وإذا ما تنسم الإنسان ذروة الرجولة الكاملة ، وأطل على أحلام الصبا وآمال

مكتبتنا العربية

الحداثة، يراها مسرعة فى التوارى عن الأنظار ، كما تتوارى الأشباح ، فلا يعود يرى لها أثرا ، ولا يسمع صوتا ، وتنسيه مسرات المعيشة البيتية مرارة فراق أحلام لذيذة مضت مع يقظة الإغفاء !

وعلى هذا الحال يدرج الرجل من الرجولة إلى الشيخوخة ، وهو يردد كلمة «مضى» ! تلك التى حوت كل معانى الحكمة والفلسفة ، ينتقل من طوره الأول إلى الثانى ، كما ينتقل شبح الخريف الجميل بخطوات متثاقلة ، ليسقط فى ضريح الشتاء البارد !

مضى ! ما الذى مضى ؟ بل ما هو الذى لم يمض ؟ أجل ! إن فى هذه الكلمة عوالم من المعانى لا يجمل بعاقل أن يتغافل عنها مهما جمت مشاكله ، وتنوعت شواغله !

مضى زمن الطفولة العذب ، وتبعه زمن الحداثة بنضارته ومسرته ، وصحته ولهوه ، وأسباب نعيمه وأنسه ! مضى ومضت معه ابتساماته التى كانت كلمحة من برق السماء ! ومضت معه أيضا كل دموعه التى تقطرت من كؤوس أفراح الحداثة !

مضى زمن الصبا والشباب بكل آماله وأحلامه ، ومضت أعوامه التى كانت تعد كاللآلئ والدرر !

مضى زمن الرجولة بكل ما فيه من قوة العزم وروح الإقدام ! ودب اليأس والتراخى إلى القلب فأوهنه ، وسرت عوامل الانحلال فى الجسم ، فاحدودب الظهر ، وتجعد الوجه ، وصار يحكى لوحة سجلت أحداث الزمن حينا من الدهر ، وزاغ البصر ، وتلاشت أسباب البطولة ، ولم يعد هذا الجسم النحيل يقوى على النهوض إلى العلاء ، حيث الطريق أصبح منحدرا ، يهبط فيه إلى أسفل الأكمة ، ولا مناص من مواصلة السير انحدارا ! وقد لاحت جموع الشيب فى الرأس تضحك شامتة من هذا الأسد الهزيل ، الذى خفت صوته ، بعد زئير يصم الآذان ، وبعد أن كان يملأ الدنيا حركة ونشاطا ! !

مضى وتوارى ذلك الجيش الجرار ، جيش الأسابيع والأشهر والسنين الذهبية !

مضى أصحاب الرأى ، وأهل الفضل ، ومن كانوا يؤازرون الضعيف ، ويوادون الفقير ، ومن كانوا مفخرة الزمان ، وعقد الجمان فى جيد الأيام ! ذهب الواحد منهم على

مكتبتنا العربية

أثر أخيه فى سفر طويل ، وسيقتفى أثرهم أبناء هذا العالم مكرهين لا طائعين ، وما الحياة الدنيا إلا كالكرة الهوائية التى تنشئها فقاقيع الماء ، لا تستكمل استدارتها حتى تنفجر !

مضى مضاء الفكر ، وأصبح يضطرب كالشمعة قبل أن تنطفئ ! ومضى زمن الصبا ، ولن تفلح الذاكرة فى إعادة طيفه إلا لماما !

كل هذا قد مضى ، ولم يبق إلا الحسرة تحز فى النفس ، وتغص فى الحلق ! !

نعم قد مضى كثير ، ولكن مهما يمضى من الحياة وأفراحها فلن ينتابها الفقر ، لأن مستودعها غنى لا يفرغ ، ومعينها غزير لا ينضب . فاذا كان الكثير قد مضى فالباقى أكثر . ولئن كانت أحلام الحداثة والصبا والرجولة قد اندثرت ، فلا تزال أحلام الشيخوخة باقية . أليس هذا الشيخ يجلس فى هدوء وحكمة ، ومن حوله أسرته وأهله ، حيث يرى صورته فى أولاده وأحفاده ، الذين يبدأون نفس المرحلة التى اجتازها قبلهم ؟!

أليس يرى فى شيخوخته عرائس أفكاره التى تمخضت بها ذاكرته ، فيجد فى نفسه قناعة عن العالم الذى يزايله قريبا ، وشوقا إلى العالم الذى يسير إليه وئيدا ؟!

على أن الشيخوخة المثقلة بمتاعب السنين ، المكلل جبينها بشرف الجهاد والانتصار فيه ، والتى كان يجب أن تأخذ قسطها من الراحة والهدوء بعد هذا العناء الطويل ، لا تنجو من تحمل الآلام : فان الهموم والمصائب والأحزان من جملة الميراث الذى ينتهى إلينا ، خلفا عن سلف ، فاذا لم تداهمنا فى ربيع العمر أو صيفه ، فلا مناص من أن تنيخ علينا بكلاكلها فى خريفه أو شتائه !

ولا غرو ، فهى الضريبة التى يجب أن تدفعها البشرية ، فى مقابل مسرات الحياة وملذاتها ! ولا بد من الموازنة ، فان للطبيعة موازين عادلة جدا . وإذا هبت الريح من الشرق ، فعلى أثرها تهب الأخرى من الغرب . وكل ابتسامة تولدها مسرة ، لها ما يقابلها من دمعة تولدها أحزان !

هى الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان ! !

محمود ابراهيم طيره

مكتبتنا العربية

خالد بن الوليد

بعد عهد النبوة الكريم

كان خالد بن الوليد منذ دخل الإسلام سيف الله المسلول على أعدائه ، يضعه سبحانه حيث يشاء ، فلا يؤوب إلا بما يرضى الله ورسوله والإسلام .

ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، فكان أول ما منى به الإسلام تلك الردة المشئومة ومنع الزكاة ، ولكن الخليفة حامى الإسلام وصاحب اليد الطولى فى حفظ كيانه أبا بكر الصديق لم تأخذه هوادة فى الغلظة على هؤلاء الذين شاقوا الله من بعد ما تبين لهم الهدى واتبعوا غير سبيل المؤمنين حتى رد الله سبحانه للاسلام كرامته ومنحه الخلود .

وكان خير عضد له فى الجهاد خالد بن الوليد الذى تيمن فيه نظرات الرسول صلى الله عليه وسلم واستن فيه سنته ، فكان جلدة بين العين والأنف له [١] ، وكان عضده وساعده يرمى به ذات اليمين وذات الشمال فيقضى به على كل جبار عنيد .

المرتدون ومانعو الزكاة

ثلاث جهات كانت أخطر شيء على الإسلام لو تركت وشأنها ، أو تهاون المسلمون فى أمرها . فلولا أبو بكر ومواقفه لعاد الناس إلى جاهلية ، ولقضى على الإسلام ، وهى موقفه من طليحة الأسدى وقومه ، ومالك بن نويرة وجماعته ، ومسيلمة الكذاب .

فأما طليحة الأسدى فقد كان رجلا من بنى أسد تنبأ فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم بعد حجة الوداع حين علم بمرض النبى صلى الله عليه وسلم ، فطمع أن يكون نبيا بعده ، وتبعه كثير من أسد وعبس وذبيان .

توجه خالد بجيشه حيث وجهه الصديق إلى ذلك المعتدى الأثيم ومن تبعه ، ودارت الحرب على قتال شديد عنيف استبسلت فيه تلك القبائل حتى كادت توقع بجيش المسلمين الذى يكثر فيه قوم دخلوا فى الإسلام بطاء ، وقد لا يعنيهم أمر الإسلام كما يعنى كبار الصحابة الأولين ، من الأنصار والمهاجرين ، ولكن خالدا المؤمن الصادق رمى بنفسه بين أحضان

---

[١] يراد بهذا التعبير رعايته له ومحافظته عليه كالجلدة التى بين العين والأنف .

الأهوال ، واستصرخ جند الله لانقاذ دين الله ، فأنزل الله عليه وعليهم سكينته وأيدهم بنصره فظهر كذب طليحة وخذله شيطانه وفر من الميدان ، ثم نكل خالد بكل معتد ممن حوله ومثل بهم كما كانوا يمثلون بالمسلمين .

على أن طليحة رحمه الله أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه حتى مات شهيدا فى حروب الفرس ، وأقام خالد بعد ذلك يتتبع بقايا الرجس ويأخذ الصدقات ويدعو إلى الله على بصيرة .

وأما مالك بن نويرة : فقد كان رجلا من تميم ، وكانوا قد وفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم قبل وفاته فأسلموا ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم . فلما توفى النبى صلوات الله عليه وعلى آله منع الزكاة وخرج على الإسلام وقال شعرا يهجو فيه المسلمين ويظهر عدم مبالاته بهم .

فلما فرغ خالد من أمر طليحة سار إليه فنزل بمكان يقال له البطاح ، ولكن مالكا فرق قومه ولم يعبئ جيشا ، فبث خالد سراياه فيهم ، وأمرهم بدعوتهم إلى الإسلام وإحضار من لم يجب وقتل من امتنع .

ثم جاءت السرايا بمالك فى نفر من قومه بنى ثعلبة ، وشهد بعض الصحابة بأنهم أذنوا ، وقال بعضهم إنهم لم يؤذنوا ، فلما أصواتا اختلطت عليهم .

ومهما يكن فقد أمر خالد بهم فحبسوا ، ثم بعث مناديا ينادى : دافئوا أسراكم ، كان ذلك فى ليلة شديدة البرد ، ولكن الله إذا أراد شيئا كان ، فقد ثبت أن المدافأة فى لغة كناية القتل ! وقتل الأسرى وفيهم مالك بن نويرة ، وغضب بعض كبار الصحابة لذلك التصرف ممن شهدوا بأنهم مسلمون لأنهم أذنوا ، وأبلغوا الأمر إلى الخليفة ، واستدعى الخليفة خالدا واعتذر إليه بالخطأ فى القتل .

وقد تناول الناس فى هذا المقام مسألة وهى أن خالدا تزوج امرأة مالك بعد قتله ، ولكن كيف ذلك ؟ وهو لا يزال فى قتال يصرف كل إنسان عن أخص شئونه ، وقد تحوم الشبهة حوله ، ولا سيما عند من جزموا بأن مالكا رجع إلى الإسلام .

والفصل فى ذلك أن سيف الله غير مؤاخذ إلا من جهة أنه كان الأولى أن لا يسارع إلى الزواج فى تلك الحال ولهذا أمره أبو بكر بطلاقها .

فأما من زعم أن خالدا لم يقتل مالكا إلا لجمال امرأته حتى يتزوجها فمن أعظم

الفرى ، ألا ترى أنه لو كان هذا المعنى الذى يوهن العزم قائما فى نفس خالد ما فتح الله له كل هذا الفتوح ، ولافتتن بنساء الفرس أو الروم ، ولعرف له معهن شىء من الصبوة ولو شاء قائل أن يقول إنه تزوجها بعد قتل زوجها جبرا لكسرها بفقد هذا الزعيم الذى لا تعوضه لكان قولا حسنا مقبولا .

وأما مسيلمة الكذاب فقد كان من بنى حنيفة الذين وفدوا أيضا على رسول الله صلى الله عليه وسلم للاسلام وخلفوا مسيلمة فى رحالهم لحفظ ظهرهم ، فأعطاه النبى صلى الله عليه وسلم كواحد منهم ، فلما رجعوا إليه ادعى النبوة ، وأحل بعض المحرمات ، ووضع بعض المفروضات فاتبعوه وظاهروه . ولما توفى النبى صلى الله عليه وسلم عظم خطره واستشرى فساده وكثر أتباعه ، فأرسل إليه أبو بكر رضى الله عنه خالدا بعد أن قاتله جيشان من المسلمين فانهزما ، لأن بنى حنيفة قوم أولو بسالة خارقة حتى قالوا إنهم المعنيون بقوله تعالى : « ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون » وهم كانوا يقاتلون فى بلادهم التى هم أعلم بشعابها وطرقها ولم تنهكهم الحرب كما نهكت المسلمين .

خرج إليه مسيلمة فى أربعين ألف مقاتل من أولئك الجبارين ، فنظم خالد الجيش تنظيما محكما ، واستعان الله سبحانه واستنصره بما عوده ، والتحم الجيشان واشتد القتال ثم خرج خالد بنفسه ودعا إلى البراز ، فكان لا يبرز أحد إلا قتله ثم طلب مسيلمة نفسه حتى لا يطول أمد الحرب واحتال لقتله ثم أعمل المسلمون السيف فى هؤلاء الجبارين حتى قتلوا منهم نحوا من واحد وعشرين ألفا ، وكان عدد القتلى من المسلمين يبلغ ألفا ومائتين فيهم كثير من القراء وكبار الصحابة ، وكان فضل الله على المسلمين عظيما بهزيمة هؤلاء المجرمين وخضد شوكتهم فقد كانوا من أسوأ الخطر .

وأما البطل الفاتح فقد أقام يصلح أمر المسلمين بواد من أودية اليمامة حتى أتاه أمر الخليفة بالتوجه لفتح العراق .

غزو الفرس

قد يطول بنا القول إذا نحن حاولنا أن نشرح ما قام به خالد فى فتح العراق وما جرى له تفصيلا وما صنع القدر له من الأعاجيب ، ولكن لا بد من الإشارة إليه إجمالا حتى تتصل حلقات التاريخ . وحسبك أن تعلم أنه استطاع فى زمن وجيز أن يتوغل فى تلك البلاد ويجوس خلالها بعد أن قطع لها طرقا لا يقطعها الخريت حتى ينقطع ويهلك ، وهى طرق لم تكن مسلوكة ولا جرأة لأحد على السير فيها لعدم الماء ، ولكنه احتال

مكتبتنا العربية

بما أراه الله أيضا حتى وصل إلى جيوش الفرس وما أكثر عددهم وما أفتك عددهم ، فصار يهزمهم هزائم تلو هزائم حتى وصل إلى صاحبه عياض بن غنم الذى سيره أبو بكر من الجانب الآخر ، وانتهى الأمر فى ذلك الزمن الوجيز بهزيمة الفرس هزيمة منكرة .

ومن الفرس ؟ لقد كانوا ينظرون إلى العرب نظرة السادة إلى العبيد ، وينظر العرب إليهم منذ عهد الجهل والجاهلية نظرة العبيد إلى السادة يتراءونهم كما تتراءى الكواكب فى السماء . فالفوارق كثيرة أى كثيرة ، والمميزات خطيرة أى خطيرة ، فقد أوتى الفرس من الإمكانيات والمادة والحضارة والمعرفة ما يجعلهم يستخدمون كل شىء ويتمتعون بكل شىء كما يستخدم الأوربيون ومن على شاكلتهم اليوم كل شىء وينتفعون بكل شىء حتى بالبدائيين من الآدميين .

هؤلاء الذين كانوا ينظرون إلى العرب تلك النظرات ، وكان العرب ينظرون إليهم تلك النظرات ، وكان كثير منهم حتى هذه الحرب ينظرون إلى جيش المسلمين وهم فى طعامهم ما يتحفزون لهم ولا يبالون بمقدمهم لما فى نفوسهم من الماضى القديم .

هؤلاء الفرس الذين لم يتبينوا ما صنع الإسلام بأهله ، وما رفع من مستوى المستمسكين به ، منذ وجههم إلى النفس الناطقة وتزكيتها ، والروح العلوية ومزاياها وخاصتها ، فآمنوا بالله ورسوله ، وعرفوا معانى الإحسان والفضائل ، وعشقوا معالى الأمور ، فاحتقروا المادة وكل ما يحف بها إلا وجه الله وما والاه وعالما أو متعلما .

هؤلاء الفرس وهؤلاء العرب هم الذين اقتتلوا فانتصر العرب فى زمن وجيز ، نصرهم الإسلام والتمسك بتعاليمه ، والإيمان بالله والاعتزاز به والتعلق بأسبابه ، « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

والروم أيضا !

فقد كان أبو بكر رضى الله عنه جند الجنود لغزو الروم ، وفى أثناء فتح العراق ، فعقد الألوية لأربعة من كبار الصحابة وأرباب القيادة : يزيد بن أبى سفيان ، وشرحبيل ابن حسنة ، وأبى عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن العاص ، ولكنهم وجدوا جيوشا بكنح الليل وعددا لا قبل لهم بها إلا أن يتداركهم الله برحمته . فكتبوا بالأمر لأبى بكر رضوان الله عليه ، فقال أبو بكر : خالد لها والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد ابن الوليد ، فكتب إلى خالد أثناء مقامه بالحيرة من أرض الفرس أن يسير إلى الشام

مكتبتنا العربية

لإغاثة المسلمين ويخلفه على العراق المثنى بن حارثة ، فما اعتذر بطول جهاده ولا كثرة عنائه فى جلاده ، وإنما كان الجندى المطيع الذى يلتمس اليمن والبركة والتوفيق والنصرة فى طاعة رئيسه الإمام العادل ، وكان جيش القوم الكافرين يبلغ مائتين وأربعين ألفا مقابل أربعين ألفا فقط من المسلمين ، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده .

كان ما لقيه خالد فى طريقه إلى الروم مما يكاد يدخل فى حدود الخرافات ، لولا تطابق الروايات وصدق النتائج . وكل ذلك مما يدل على أن التدين جدير أن يأتى بالعجائب التى يدخرها الله لمن أحبه من عباده المؤمنين فكان سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها .

وكان لا بد لخالد من أن يطهر الطريق الذى يسير فيه من كل عدو حتى يسير فى أمن منذ خروجه من العراق إلى دخوله أرض الشام ، وهذا أيضا مجهود عبقرى ، ثم كان أن نازلت جيوش المسلمين جيوش الأعداء فى كفالة الله وكفالة سيف الله حتى ألجأوهم إلى خنادقهم التى لزموها شهرا عكف القسيسون فيه على وعظهم و إنذارهم بفناء النصرانية ، على أنهم خرجوا من خنادقهم فى تعبئاتهم التى لم تعرفها العرب ليعودوا إلى قبورهم موتى ثم إلى جهنم وساءت مصيرا .

لقد التحم الجيشان وخرست الألسنة وصمت الآذان إلا من قعقعة السيوف وزئير الفرسان ، مما دعا إلى خروج قائد القلب من الروم إلى خالد ، ثم دخوله فى الإسلام لما أدهشه من العجائب ، ثم اقتتلوا نهارا فلم يطلع الصبح بعد ليلته حتى كان خالد فى رواق رئيس الروم ، بقدرة الحى القيوم لا إله إلا هو . وأصاب المسلمون كل ما فى معسكر القوم ، واستشهد من المسلمين نحو ثمانية آلاف . وكانت هذه المعركة من المعارك الفاصلة فى تاريخ الشرق والإسلام ، فقد ظهر بعدها سلطانه وتتابعت فتوحاته ، وفى أثنائها ورد البريد بوفاة الصديق ، وخلافة الفاروق .

ثم عزل الفاروق خالدا من إمرة الجيش وقد سمع لأمره ونزل على حكمه ، ولم يكن ذلك عن سخط ولا خيانة (كما قال الفاروق نفسه) ولكنه خشى أن تفتتن الناس به .

هذا إلى أن مسلك خالد كان يخالف مسلك ابن الخطاب ، فقد كان فى خالد ناحية استبداد ، وكان يتصرف دون رجوع إلى أمر الخليفة على أن يخبره بعد ذلك بما فعل ، وعمر رضى الله عنه يحب أن يعرض عليه الأمر قبل أن يقع ولا سيما فيما يتعلق بالأموال ،

مكتبتنا العربية

ولهذا جاء فى الخبر أن عمر كتب إليه ألا يعطى شاة ولا بعيرا إلا بأمره ، فكتب إليه كما كتب إلى الصديق من قبله : إما أن تدعنى وعملى وإلا فشأنك وعملك ، وعند ذلك عزله . ولهذا أيضا قيل : إن عمر سمع راجزا يذكر خالدا ، فقال : يرحم الله خالدا . وكان طلحة بن عبيد الله حاضرا فتمثل بهذا البيت :

لا أعرفنك بعد الموت تندبنى وفى حياتى ما زودتنى زادى (١)

فقال عمر ما عتبت على خالد إلا تقدمه وما كان يصنع فى المال .

وبعد — فهذه بعض سيرة خالد لا نسوقها تنويها بخالد ، ولكنها الذكرى بأولئك الغر الميامين ، من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لنقول : « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم » .

ولنحاول أن نجد فيهم الأسوة الصالحة حتى نستعيد ماضينا من مجد أراقوا على جوانبه الدم ، ولنطلب الإسلام الصحيح الذى فاب أوضاعهم ، وأوجب سموهم وارتفاعهم ، لا ذلك الإسلام المشوه الذى أضحك العالم منا ، وجعلهم يتداعون علينا . ولنروض أنفسنا بالتمسك بالدين فى توجيهاته وأخلاقه وفى تحقيق ما شرع ، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

لقد نصر الله خالدا وأصحاب خالد ، ولقد أيد الله كل من التمس التأييد فى نصرة دينه الحق وفى تحقيق عزة الإسلام وكرامته وعدم الخضوع لمخلوق كيفما كان وفى تعظيم الله وحده واللجوء إلى حماه وكنفه : و « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور » .

اللهم اكتب لنا النصر والتأييد ، وحقق لنا المجد والرفعة والسؤدد بالتماس الأسوة الصالحة فى نبيك وفى أصحاب نبيك صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . آمين يا

محمود الشرقاوى

---

(١) هذا البيت لعبيد بن الأبرص من الشعراء الجاهليين أصحاب المعلقات ، ومعناه أنه لا معنى لأن تهمل أمرى فى حياتى ثم تبكى على وتندبنى بعد مماتى .

مكتبتنا العربية

الإسلام ومشاكل المجتمع :

ثورة الاسلام على الفقر واحتكار الاموال

تتمثل خطة الإسلام : فى مكافحة الفقر واحتكار الأموال فى موقفين بارزين : موقف الدفاع ، وموقف الهجوم ، وترمى خطة الدفاع إلى حماية الفرد والمجتمع من غوائل الفقر الذى ينتاب الأفراد والجماعات نتيجة لأسباب كسبية تدخل فى نطاق التصرف الإنسانى ، وتخضع لمسئولية السلوك والفعل الاختيارى مثل القعود عن العمل مع القدرة عليه فانه يؤدى إلى الحاجة ، ومثل الإسراف وسوء التدبير فانه يؤدى بصاحبه إلى الإفلاس ، ومثل الربا فانه يجر إلى إعواز بعض الناس وإثراء البعض الآخر حيث يمتص به بعض الناس جهود بعض ، وهكذا .

وتتجلى هذه الخطة ـ خطة الدفاع ـ فى مظهرين : مظهر الدفاع لصد عدوان الفقر الذى يغتال بعض الأفراد نتيجة لإهمالهم وسوء تصرفهم من غير أن يشاركهم أحد فى جر ويلاته عليهم : أى نتيجة لأسباب شخصية ليس لأحد سوى أصحابه أثر فيها ، ومظهر الدفاع لدرء أخطار الفقر الذى يجتاح بعض الناس نتيجة لأسباب جماعية تقوم على أكتاف بعض جهات المجتمع : مثل الربا ، والغش فى التجارة ، والتطفيف فى الكيل والوزن ، واحتكار السلع والأقوات لبيعها فى السوق السوداء بسعر أغلى من السعر الذى يجب أن تباع به ، ونحو ذلك مما يترتب عليه تركز الثروة فى يد بعض الأفراد واجتياح الفقر والفاقة للجم الغفير من الناس .

أما خطة الهجوم : فانها مركزة ضد الفقر الذى يسيطر على المجتمع أو بعضه نتيجة لأسباب طبيعية لا أثر فيها لعمل الفرد ولا لعمل المجتمع كالزمانة والعجز عن الكسب ، والزلازل ، والبراكين ، والآفات الزراعية ، ونحو ذلك مما يفتك بأقوات الناس ويعرض حياتهم للضياع ولا أثر فيه لعمل الإنسان مطلقا . وذلك أن الإسلام تتبع أسباب الفقر وأعد لكل منها من وسائل الكفاح ما يناسبه وضعا للدواء فى موضعه ، وحسما للشر من منبعه .

مكتبتنا العربية

وتقوم المقاومة فى خط الدفاع الأول على الوسائل الآتية وهى : —

محاربة البطالة — وتحريم الإسراف وإضاعة المال فيما لا يفيد — والحجر على السفهاء فى أموالهم — والتحبيب فى الغنى والتنفير من الفقر ، وذلك أن مواطن الخطر فى هذا الخط هى : —

البطالة — وسوء التدبير — وعدم أهلية التصرف ، والعزوف عن الدنيا باسم الدين والزهد ودعوة التقرب إلى الله تعالى : فأقام الإسلام أمام هذه المخاطر وسائل الدفاع السابقة ليسد على عدو الإنسانية الأول طريقه الأول الذى قد يغير منه على بعض أفراد المجتمع ، وهذا بيان هذه الوسائل .

محاربة البطالة

جاء الإسلام بالدعوة إلى العمل ، ومكافحة البطالة والكسل ، واستخدم لذلك أنجع الوسائل لأن العمل روح الحياة ، وأساس العمران ، وطريق سعادة الأفراد والأمم ، والكسل والقعود مطية الهلاك والخسران .

وقد اعتمد الإسلام فى مكافحة البطالة وتسخير جميع القوى للعمل على ما يأتى :

(١) بعث روح النشاط وتشجيع الجهود بأقرار الملكية الفردية ونظام الدرجات وتقرير أن الجزاء على قدر العمل (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) فهذا من أقوى العوامل فى تحريك الهمم ودفع الناس إلى العمل لأنه يلائم الفطرة ، وتدعو له طبيعة الكون ونظام الحياة .

فقد أودع الله فى الإنسان ميلا غريزيا يدفعه إلى طلب المال إذ أنه قوام حياته ، والإنسان إذا شعر بأن ما يحصل عليه من المال بطريق العمل يكون ملكا له ينتفع به حال حياته ، وينتقل إلى ورثته وهم أقرب الناس إليه بعد مماته شمر عن ساعد الجد ، وبذل فى كفاحه فى الحياة أقصى جهد ، وإذا أحس بخلاف ذلك خارت قوته وانهارت عزيمته ، وقد خلق الله الناس متفاوتين فى القوى والمواهب ، ومن لوازم ذلك أن يكونوا متفاوتين فى الغنى والفقر ليشعر كل منهم بحاجته إلى الآخر ، ويقوم بواجبه فى الحياة ، ويسود التعاون الذى هو عماد الحياة ، ومبعث النشاط والنهوض . قال الله تعالى : « نحن

مكتبتنا العربية

قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون » .

فالناس كحروف الهجاء لا تدل على المقاطع والكلمات إلا باختلاف الصور والهيئات بيد أن للتفاوت حدا طبيعيا ينبغى ألا يزيد عنه وإلا كان مدعاة للتناحر ووقوف الأعمال، وإنما يخرج التفاوت بين الناس عن حيز المعقول بالاعتداء على حق الغير وتحصيل الأموال بغير أسبابها المشروعة الصحيحة ، فلذا حدد الإسلام موارد الملكية ، وحرم أكل أموال الناس بالباطل ، وشرع لذلك من الوسائل والقوانين ما يحفظ لكل ذى حق حقه ويكفل مصلحة الفرد ومصلحة المجموع ، ومن هنا يظهر الفرق بين نظام الإسلام وبين الرأسمالية فالإسلام وإن أقر مبدأ الملكية الفردية فانه حدد موارد الكسب وقيد حرية الفرد بما لا يتعارض مع حرية الغير وحق الغير ، وبهذا تحاشى عيوب النظام الرأسمالى .

(٢) تكوين الباعث الروحى وإثارة الوازع الدينى : فقد كفل الإسلام بالترغيب فى العمل وبيان علو منزلته عند الله حتى أكد أن منزلة العامل فى سبيل لقمة العيش عند الله لا تقل عن درجة المجاهد فى سبيل الله والصائم الذى لا يفطر والقائم الذى لا يفتر ، بل فضل الله السعى فى طلب الرزق على الجهاد فى بعض الحالات . روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم يستأذنه فى الجهاد فقال : أحى والداك ؟ . قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد . أى اسع عليهما فالسعى عليهما لا يقل عن الجهاد فى سبيل الله وأحاديث فضل العمل والحث عليه تملأ كتب السنة .

(٣) قوة السلطان : لم يقصر الإسلام اعتماده فى التوجيه إلى العمل على الباعث الطبيعى أو الوازع الدينى بل ضم إلى ذلك وسيلة القهر والقوة فجعل من سلطة الحاكم القيام بمطاردة العاطلين والمتسولين وتوجيه القوى الصالحة كلها إلى العمل ليؤخذ بقوة السلطان من فسد طبعه ولم يستجب لداعى الحق والإيمان ، وجعل من واجب الدولة أن تفتح أبواب العمل لكل قادر لا يجد لنفسه عملا يؤديه وبذلك قام بما يشبه التعبئة العامة إلى العمل وحشد جميع الجهود فى ميادين الكفاح والجد توطيدا لدعائم الدولة الإسلامية وأخذا بناصيتها إلى ذروة المجد والسؤدد : عن أنس رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فشكا إليه الفاقة ، ثم رجع فقال : يا رسول الله : لقد جئتك من أهل بيت ما أرانى أرجع إليهم حتى يموت بعضهم من الجوع . فقال :

مكتبتنا العربية

انطلق هل تجد من شيء فانطلق بحاس وقدح فقال : يارسول الله هذا الحلس كانوا يفترشون بعضه ويلبسون بعضه ، وهذا القدح كانوا يشربون فيه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذهما منى بدرهم ؟ فقال رجل أنا يارسول الله . فقال رجل : أنا آخذهما بدرهمين فقال : هما لك . قال : فدعا الرجل فقال اشتر فأسا بدرهم وبدرهم طعاما لأهلك . قال ففعل ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : انطلق إلى هذا الوادى فلا تدع حاجا ولا شوكا ولا حطبا ولا تأتنى خمسة عشر يوما ، فانطلق فأصاب عشرة دراهم ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره . فقال : فانطلق فاشتر بخمسة دراهم طعاما وبخمسة كسوة لأهلك . فقال : يا رسول الله : لقد بارك الله لى فيما أمرتنى . فقال : هذا خير من أن تجيء يوم القيامة فى وجهك نكتة المسألة : إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة : لذى دم موجع ، أو غرم مفظع ، أو فقر مدقع — رواه أبو داود والترمذى والنسائى فهذا الموقف من النبي صلى الله عليه وسلم — وهو المشرف الأعلى على شئون الدولة الإسلامية — مع هذا السائل يبين أن من وظيفته أن يحارب البطالة فى رعيته بالفعل كما يحاربها بالقول ، ويدل أيضا على أن من واجب الدولة أن تهيئ أسباب العمل وتفتح أبوابه أمام كل قادر ، ومن الميادين التى وجه الإسلام أتباعه إليها الهجرة قال الله تعالى : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة » . ومنها إحياء الموات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحيا أرضا ميتة ثقة بالله وتوكلا عليه كان حقا على الله أن يعينه ويبارك له » . إلى غير ذلك من أبواب السعى التى فتحها الإسلام فى وجه أصحابه ، وذلك ليقضى على البطالة فى جميع صورها ، ولا يكون بين الأمة من يعيش عالة على غيره مع قدرته على العمل حتى لو تزيا بزى الزهاد ولبس مسوح الرهبان ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إنى لأرى الرجل فيعجبنى فأسأل عنه فان لم تكن له حرفه سقط من عينى ، ولاحظ على رجل أنه يطوف بالمنازل كل ليلة يتكفف الناس فضربه بالدرة وحذره من الرجوع إلى السؤال ، وأخرج ما فى مخلاته فوضعه لإبل الصدقة ، وقال : إنما أنت تاجر ولست بسائل ، ومن هذا يتضح أن الإسلام قد وضع الحل السديد لمشكلة التسول والبطالة .

و بعد فالإسلام دين السعى والعمل ، لا دين الخمول والكسل كما يقول أعداؤه ، وبه نهض الأولون ، وسادوا جميع الأمم .

محمد السيد نرا
المدرس بكلية الشريعة

مكتبتنا العربية

المثاليـة الواقعية
فى الفـكرة الدينية

الأخـلاق :

الأخلاق تمثل القمة فى الفـكرة المثالية . . . وهى الجانب الذى تبدو فيه المثالية رفيعة سامقة حتى يظنها الناس ليست فى طوق البشر ، بل تسمو عن مستواهم كثيرا .

والأخلاق هى التى تحدث عنها فيقال لك : هـذه مثالية ! وتعتبر هذه الجملة الصغيرة اليسيرة كافية للاستعفاء من تكاليف الأخلاق . . . وإسقاطها من الحساب !

والأخلاق هى التى فلسف مكيافللى التملص منها ، وقال : إن الغاية تبرر الواسطة . . فقال ناس : هذه هى الواقعية !

فهل الأخلاق هى هذا البرج العاجى من أحلام الخيال - فى فكرة الدين ومنطق الإسلام ؟

* * *

« إنمـا بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » [١] هذا مكان الأخلاق فى الإسلام .

لـكن بناء الأخلاق فى هـــذا الدين قائم على أساس واقعى ، ليس فيـه شطحات ولا تحليقات فى الخيال . فالأخلاق فيه محددة ، مبينة مفصلة . . .

يقول علامة الهند السيد سليمان الندوى : ـ إننا نجد فى التوراة أحكاما عديدة تتصل بالأخلاق ، منها سبعة تعد أصولا ، وليس فى هذه الأصول السبعة إلا أصل واحد إيجابى وهو الأمر بطاعة الوالدين والبر بهما . أما الستة الأخرى فـكلها سلبية وهى النواهى : لا تقتل ، لا تسرق ، لا تزن ، لا تشهد على جارك شهادة زور ، لا تحاول حليلة جارك ، لا تطمع فى مال جارك . . . وبعض هذه الأصول داخل فى بعض ، فهى فى الحقيقة أربعة

---

[١] وفى رواية « صالح الأخلاق » . قال . السيوطى . رواه البخارى فى الأدب ، والحاكم فى المستدرك ، والبيهقى فى شعب الايمان . صحيح .

والإنجيل ردّد هذه الأحكام السبعة كما هى فى التوراة وزاد عليها الحث على محبة الغير ... أما الإسلام فقد جاء بأحكام كثيرة فى المعاشرة وبقوانين مفصلة فى المعاملات ، وأفاض فيما كان نهرا حتى جعل منه بحرا » .... وهو يضرب المثل لتوجيهات القرآن الأخلاقية بما ورد فى سورة الإسراء « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبالوالدين إحسانا ... الآيات ٢٣ ٣٩ » وفيها خمسة أوامر وخمسة نواه .... ونضيف إلى ذلك أوصاف المؤمنين فى صدرسورة «المؤمنون» وأوصاف عباد الرحمن فى سورة «الفرقان» وهكذا ... ونشير إلى ما ذكره الأستاذ محب الدين الخطيب عن « شعب الإيمان » فى جملة مواضع أوجزها ما قال فيه « الإيمان الإسلامى بضع وسبعون شعبة ، وقد استقصاها أعلام الإسلام فرأوها تدور حول شيئين لا ثالث لهما : الحق ، والخير ، وكل شعبة من شعب الإيمان الإسلامى لا ريب أنها تدخل إما فى باب الحق ، أو فى باب الخير ، والعمل الصالح هو عمل المؤمن بما هو مؤمن به ، فلا يكون العمل صالحا إلا إذا كان من عمل الحق أو من عمل الخير ، وهذا هو الإسلام » [١] .

والأخلاق فى الإسلام فطرية .... إنسانية :

وليس أدل على ذلك من أنه يسمى الخير معروفا ، والشر منكرا ... فليس فى تعاريفه الأخلاقية اعتساف يكد الأذهان .... إنها أخلاق مستمدة من طبيعة الناس التى يعلمها منزل الكتاب ، وليست مفروضة فرضا نظريا لا يطابق الحوائج والمجتمعات ... « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » . « البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب ، وإن أفتاك المفتون » [٢] والأخلاق فيه شاملة .... جامعة .

إن الأخلاق فى الإسلام تستوعب كل جوانب السلوك ... فهى أخلاق للفكر تأمر بالتعقل والعلم ، وتنفر من التقليد والتضليل « ... أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ... » ، « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » . « أو لو كان آباؤهم لا يعقلون

---

[١] الرسالة المحمدية ، سليمان الندوى ـ تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب .

[٢] الأول رواه البخارى فى الأدب المفرد ومسلم والترمذى ـ صححه السيوطى . الثانى رواه أحمد حسنه السيوطى .

مكتبتنا العربية

شيئا ولا يهتدون » ، « فإن تنازعتم فى شىء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » .

ثم هناك أخلاق النفس ، وهى أبرز ما تتجه إليه العقول حين تذكر الأخلاق ...

وهنا الأوامر بالصدق والأمانة والإحسان ، والنواهى عن الكذب والخيانة والفساد « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » كذلك هناك أخلاق السلوك ، أو هى المعروفة بالآداب العامة وقواعد فيها اللياقة والمجاملة « واقصد فى مشيك واغضض من صوتك » « ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » وقد فصل الإسلام آداب التحية ، والاستئذان ، ومجاملات التهنئة والعزاء ... ونهى عن التجسس والغيبة واللمز والتنابز بالألقاب .

لست أدرى إذن ، من أين جاءت الصورة التى حددت « الأخلاق الدينية » بأداء الصلوات واجتناب الخمر والميسر ... فحسب حتى كتب من الكتاب من قال بأن الأخلاق الدينية لا تكفى ، أو لعلها لا تصلح مطلقا ـ كى تكون أساسا لتقدير الأشخاص وتقويم الرجال ...

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

إن القيام بالشعائر ، واجتناب الخمر والميسر ، من أحكام الإسلام .

لكن ليس معنى هذا أن هذه الأوامر والنواهى وحدها هى الأخلاق الدينية .

إن الرجل قد يصلى عادة ... وقد يجتنب الخمر لأنه لا يستطيع مذاقه ، أو لأنه يضر صحته ... وقد يتوقى الميسر خوفا على جيبه وسمعته ، أو لأنه تعود قضاء وقت فراغه على غير الموائد الخضراء ... وليس معنى هذا أنه صاحب أخلاق ، بل تبقى جوانب شخصيته محتاجة لأضواء تكشف الأستار ... لابد أن نفحص منهجه فى التفكير ، ونستشف موازين القيم فى نفسه ، ونضع أيدينا على ألوان مختلفة من سلوكه فى الحياة حتى نستطيع أن نحكم عليه .

وقد كان عمر يسأل الشاهد الذى يزكى شخصا عن طريقة معرفته لذلك الشخص ... ولا يكتفى بالمعرفة السطحية للقيام بالشعائر ، دون الخبرة العميقة والمخالطة الشاملة مما يكشف عن أغوار النفوس .

والإنجيل ردّد هذه الأحكام السبعة كما هى فى التوراة وزاد عليها الحث على محبة الغير ... أما الإسلام فقد جاء بأحكام كثيرة فى المعاشرة وبقوانين مفصلة فى المعاملات ، وأفاض فيما كان نهرا حتى جعل منه بحرا » .... وهو يضرب المثل لتوجيهات القرآن الأخلاقية بما ورد فى سورة الإسراء « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبالوالدين إحسانا ... الآيات ٢٣ ٣٩ » وفيها خمسة أوامر وخمسة نواه .... ونضيف إلى ذلك أوصاف المؤمنين فى صدر سورة «المؤمنون» وأوصاف عباد الرحمن فى سورة «الفرقان» وهكذا ... ونشير إلى ما ذكره الأستاذ محب الدين الخطيب عن « شعب الإيمان » فى جملة مواضع أوجزها ما قال فيه « الإيمان الإسلامى بضع وسبعون شعبة ، وقد استقصاها أعلام الإسلام فرأوها تدور حول شيئين لا ثالث لهما : الحق ، والخير ، وكل شعبة من شعب الإيمان الإسلامى لا ريب أنها تدخل إما فى باب الحق ، أو فى باب الخير ، والعمل الصالح هو عمل المؤمن بما هو مؤمن به ، فلا يكون العمل صالحا إلا إذا كان من عمل الحق أو من عمل الخير ، وهذا هو الإسلام » [١] .

والأخلاق فى الإسلام فطرية .... إنسانية :

وليس أدل على ذلك من أنه يسمى الخير معروفا ، والشر منكرا ... فليس فى تعاريفه الأخلاقية اعتساف يكد الأذهان .... إنها أخلاق مستمدة من طبيعة الناس التى يعلمها منزل الكتاب ، وليست مفروضة فرضا نظريا لا يطابق الحوائج والمجتمعات ... « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » . « البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب ، وإن أفتاك المفتون » [٢] والأخلاق فيه شاملة .... جامعة .

إن الأخلاق فى الإسلام تستوعب كل جوانب السلوك ... فهى أخلاق للفكر تأمر بالتعقل والعلم ، وتنفر من التقليد والتضليل « ... أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ... » ، « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » . « أو لو كان آباؤهم لا يعقلون

[١] الرسالة المحمدية ، سليمان الندوى ـ تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب .

[٢] الأول رواه البخارى فى الأدب المفرد ومسلم والترمذى ـ صححه السيوطى . الثانى رواه أحمد حسنه السيوطى .

مكتبتنا العربية

لا بد أن يقيم ركن المسئولية على القصد الجنائى ، أما الباعث فيقدره فى حدود تجعل هذا التقدير عمليا ممكنا .

لذلك أتى الإسلام فى أخلاقياته بالمحبة « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » والسلام « يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » ... لكنه مع ذلك وضع شريعة العقوبة للداخل ، وشريعة الحرب للخارج « ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » ، « ولكم فى القصاص حياة » ، « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم » ، « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » .

لكنه يندى بالأخلاق شريعة القوة ... وكل الناس يعرفون وصايا الإسلام فى الحرب وسنعود إليها حين نتكلم عن المثالية الواقعية فى التشريع ... وحسبنا أن نشير فى إيجاز إلى الوفاء بالعهد ، وتجنب الاعتداء على النساء والشيوخ والأطفال والرهبان ، وغير المحاربين جملة ، وعدم الفساد والإتلاف لغير الضروريات الحربية ، وهكذا .

والأخلاق فى الإسلام واقعية ... إذ لا تؤدى إلى التصادم بين الدنيا والدين . « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، خالصه يوم القيامة » ... يستطيع الإنسان أن يتملك ، مادامت ملكيته لا تتعارض مع سياسة الإسلام الاقتصادية التى تنفذها الدولة ، ولا تتصادم مع شريعته القانونية ، وما دام يؤدى واجباته والتزاماته المالية للمجتمع والدولة ... فالزهد فى الإسلام ليس عزلة وبطالة ، وليس نزعة فردية ... ولكنه سعى فى الأرض وتنمية للانتاج وملكية للثروة ، ثم وضع لهذا كله تحت تصرف المجتمع والدولة ... إنه زهد فيما ملك الفرد ، لا فيما عجز عن امتلاكه .

والأخلاق فى الإسلام واقعية ... إذ فرقت بين الكبائر والصغائر « الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم » ... وفرقت بين المجاهرة والتستر (كل أمتى معافى إلا المجاهرين ، وإن من الجهار أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله تعالى فيقول : عملت البارحة كذا وكذا ، فيكشف ستر الله عز وجل) [١] ... وفرقت بين

---

[١] الطبرانى فى الأوسط صححه السيوطى .

مكتبتنا العربية

أخلاق وأخلاق ، فقد يكون المؤمن جبانا أو بخيلا ، ولكنه لايكون كذابا « إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون » .

وهى واقعية إذ استثنت حالات الإكراه والفتنة « إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » « إلا أن تتقوا منهم تقاة » . لكنها لا تتوسع فى التقية بغير ضرورة قاسرة ملجئة ، ولقد حددت السنة على سبيل الحصر مواضع ، رخصت بالكذب فيها : هى الحرب ، وحديث الرجل لزوجته ، والإصلاح بين المتخاصمين (١) . فهل هناك واقعية أكثر من هذا ؟

دين يقوم على مكارم الأخلاق ... لكنه لا يغفل استثناءات فى أضيق نطاق ، يغلب فيها اعتبارات أسمى وأعم ، وترجح لديه أخلاق ... على أخلاق .

فالحرب ... إعلان لفقدان الثقة بين المتحاربين ، فلا بأس فى الكذب إذ الحرب خدعة ... وليس معنى هذا أن تعطل الفضيلة فى الحروب ، فما زال للشجاعة مكانها ، وللصدق موضعه عند الحديث الجاد والمفاوضة الصريحة النزيهة ، وللرحمة محلها فلا يتبع المدبر ولا يجهز على الجريح ولا يؤذى الشيوخ والنساء والأطفال .

وحديث الزوجين ... إن غاب فيه الصدق حينا فقد قامت التضحية فى كل الأحيان ... لأن الزوج حين يتحدث عن حبه لزوجته وهو لا يحبها ، فانما يريد أن ينكر ذاته ، ويضحى بمشاعره من أجل الوفاق والوئام ...

والإصلاح بين الناس ... فضيلة ، يغض البصر من أجلها عن فضيلة أخرى ...

ومن البديهى أن ذلك كله يكون فى حدود ...

فليس معنى الكذب فى ضرورات الحرب أنه كذب على طول الخط ، وليس معنى الكذب بين الزوجين حينا أنه الكذب الذى لا يعالج شيئا و يعقد أشياء ، وليس معنى الكذب للاصلاح أن يكون كتمانا لأمور جوهرية لا تلبث أن تنكشف ، فتسوء العلاقات من جديد ...

لكن لابد للمؤمن من الكياسة والفطنة ! ! ٩

« يتبع »

فتحى عثمان

---

[١] الترمذى وأحمد .

مكتبتنا العربية

الدين ووسائل تعلمه

ليس من قصدى فى هذه الكلمة أن أبين الدين ولا أن أشرح حاجة الناس إليه . فقد عرف الناس فى إجمال قد يعجزون عن تبيانه أن الدين الصحيح مجموعة من العقائد والأحكام والنظم أوحى بها الله إلى من اصطفاه من عباده ليبلغها إلى خلقه ويدعوهم إليها ويرضى منهم أن يدينوا بها ويعملوا بمقتضاها لا لحاجة به إلى أعمالهم ولكن ليهديهم ويصلح بها من شأنهم فى دنياهم ويجزيهم فى أخراهم جزاء المخبتين المطيعين . وقد عرف الناس أيضا أن الدين حاجة فطرية ، أو ضرورة اجتماعية لا غنى لهم عنها ، فاذا فقدوها عن طريق الغيب التمسوها فى عالم الحس ، فى الأرض أو فى السماء ، فى شجر أو حجر ، أو كوكب أو طوطم أو ما إلى ذلك ، أو فزعوا إلى عظيم من عظمائهم فألهوه وعبدوه ودانوا بتعاليمه ليسدوا فراغ أنفسهم من هذه الأديان . وقد فاض تاريخ البشرية بمعبودات ونظم ، ورغم ما كان يدعو كثير منها إلى الاستهزاء والسخرية ، فقد لازمتهم وكانت منذ كانوا .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

والمقصود بالدين فى كلمتنا : الدين الإسلامى ، وبوسائل تعلمه علماؤه والكتب الدينية التى تدرس فى الأزهر ، فليس هناك علماء يقومون بتعليم الدين الإسلامى تعليما صحيحا مبنيا على أسس سليمة من الفهم والإفهام غير علماء الأزهر . وقد تعرض علماء الأزهر كما تعرضت كتبه لحملات كثيرا ما كانت مغرضة ظالمة ، وأحيانا ما كانت مخلصة إلا أنها جاهلة ، ورموا بالجمود والتعقيد ، ورميت كتبه بالتوعر والصعوبة ، واتخذت ظواهر عبارات من القرآن والسنة شبها على خطأ طرق التعليم الدينى بالأزهر وخطأ أسلوب التأليف فى الكتب الدينية ، . وارتفعت أصوات بالمطالبة بتيسير طرق التعليم الدينى وتيسير كتبه . واستجابة لتلك الدعوة ورغبة فى الهداية والتوجيه قام كثير من العلماء الأفاضل بتحقيق هذه الرغبة ، ولكن رغم ما قام به هؤلاء من تهذيب الكتب وتيسير طرق عرضها فما زالت دون رضا كثير من الناس ، وما زال علماء الدين وكتب الدين غير واضحة فى نظرهم وهى محتاجة وستحتاج إلى مزيد من التبسيط والتوضيح لتكون بلغة الصحف حتى يستوى فى فهمها والإلمام بموضوعاتها من يحسن أن يقرأ ومن وقف على أعتاب

مكتبتنا العربية

المعرفة وإن لم يهتك أستارها وحجبها . هذا ما يقولون ويريدون ، وذلك خطأ ولا شك، وأمنية بعيدة المنال مهما جهد العلماء وأسهروا ليلهم وأتعبوا نهارهم . ذلك لأن الدين الإسلامى مجموعة من العقائد والقواعد والأحكام والنظم ، أو مجموعة من القوانين ، وهذه القوانين لها أصول خاصة وحدود خاصة واصطلاحات خاصة وطرق تعبير خاصة ولها أسس من علوم متعددة يشتبك بعضها ببعض ويسلم بعضها إلى بعض ، وكل أولئك فى حاجة إلى زمن طويل يقضيه الطالب فى تحصيلها والإحاطة بها وقد لا يكون كثيرا ولا غريبا أن ينفق الطالب لها من عمره عشر سنين أو أكثر . وشأن علوم الدين شأن غيرها من القوانين والعلوم لها كتبها ولها رجالها الذين تخصصوا بها وأفرغوا وسعهم فيها .

وإذا كان طالب القانون الأجنبى أو طالب الطب أو طالب الهندسة يكفيه أن يلم بالقراءة ليكون طبيبا أو مهندسا أو قانونيا فليكف المسلم أن يلم بالقراءة ليكون عالما دينيا يفهم أحكام الدين ويحيط بأصوله وقواعده ويجتهد ويفتى ، وحينئذ يصبح للمسلمين خمسمائة مليون من العلماء والمفتين بقدر عددهم ويزدادون بنسبة ما يزداد المسلمون ويبارك الله فى أنسالهم وذرياتهم .

إن شأن العلوم جميعها شأن واحد ، ولا بد فى تعلمها من معلم أو من موقف بلغة أهل العلم القدماء ، ومن هنا كانت الحاجة إلى العلماء وإلى معاهد العلم ، ولو كان يكفى فى تعلم العلوم معرفة القراءة والكتابة وتوافر الكتب لما كان هناك حاجة إلى شىء من ذلك ، ولكفى شعوب العالم حملة من الكتاتيب أو المدارس الأولية يتعلم فيها ناشئتها القراءة ليكونوا بعد ذلك وفى قليل من الزمن أئمة فى العلوم والفنون ما دامت كتبها فى أيديهم ومتناولهم ، ولا يقول ذلك من له مسكة من عقل أو طرف من معرفة ، فلا بد للدين إذن من متخصصين به ، ولا بد له من كتب خاصة به كذلك ، ولا يضير علوم الدين أن تكون على هذا النحو فشأنها شأن غيرها كما أسلفنا ، وقد شرط كثير من العلماء الموقفين فى علوم الدين وأوجبت جمهرتهم على العامة تقليد إمام من الأئمة فى أحكام الدين ، ولم يطالبوهم بالوقوف على أصولها ومناط أدلتها ، لأن ذلك يخرج عن طوق العامة ويذهب بهم مذاهب الحيرة والضلال .

ولقد حاول كثير من العلماء وما زالوا يحاولون تبسيط العلوم تيسيرا على الطلاب ، فماذا

مكتبتنا العربية

كانت النتيجة ؟ لقد كانت النتيجة ، هى أنه مع ما بذل من محاولات فى الكتب وفى طرق العرض ما زالت قواعد العلوم فى مستواها العالى لم يرق إليها إلا الخريت الماهر ولم ينلها إلا من دفع مهرها غاليا من فكره ووقته وجهده .

لقد حاول عشرات من العلماء تيسير قواعد النحو بشتى الوسائل بالحذف مرة والتخفيف مرة وتكرار الأمثلة والشواهد مرات ، فما بلغوا ما أرادوا وأراد بعض الكاتبين وما استغنى تلاميذ المدارس بالكتب عن الأساتذة وما أباحت قواعد اللغة حماها إلا لمن بذل وجاهد وصبر وصابر ، وإنه ليؤسفنا أن نقول : إن قواعد اللغة ما زالت ثقيلة على نفوس التلاميذ .

هذا إلى أن المبالغة فى تبسيط كتب علوم الدين ، أو غيرها قد يكون مدعاة إلى الخطأ والتشويش فى قواعدها وأحكامها ، وقد يكون من ورائه خطر آخر ، فقد تغرى بساطتها بعض قصار النظر باقتحامها والادعاء فى تعرف حقائقها والتنفج باكتناه أسرارها ، وهناك تكون الفوضى بآثارها ونتائجها ، ولعل من آثار تلك الفوضى ما نسمعه هنا وهناك من دعوى الاجتهاد من أناس هم فى أول الشوط من المعرفة والفقه ، وكل محصولهم العلمى آيات وأحاديث حفظوها من كتاب أو التقطوها من أفواه الخطباء بالأندية والمساجد دون أن يتدبروا معانيها أو يتنبهوا لمقاصدها وما يربطها بغيرها من روابط وما تشير إليه من أحكام .

إن من النظم الثقافية التى وصل إليها علماء التربية بالتجارب عهودا طويلة تنوع التخصص فى فروع المعرفة ، فمن غير الممكن أن يتقن شخص ما سائر فروعها وإذا فمن لغو القول بل من جوره أن يتهم بعض الناس علماء الأزهر بأنهم غير صالحين لأنهم لا يحسنون أنواعا من العلوم الأخرى ، فلو صح ذلك لوجب أن يكون المهندس طبيبا وقانونيا وعالما ذريا حتى يكون صالحا فى مهنته نافعا لأمته ، وكذلك غيره من العلماء ، وليس فى مجال الهذر أمعن من هذا الكلام ، ومما نسمعه فى مجال الطعن على علماء الأزهر أنهم يحتكرون الدين واحتكار الدين عمل لا يقره الإسلام ، وفى هذا الكلام شىء من المغالطة قد تجوز على البسطاء فيحسن أن نبين الحقيقة فيها لنخرس ألسنة مفتريها أو نخجلهم على الأقل إن كانوا يخجلون .

والحقيقة أن هناك فرقا بين احتكار تعليم الدين واحتكار الدين نفسه ، أما تعليم الدين

مكتبتنا العربية

فلا شك أنه صناعة تستلزم صناعا مهرة هيئوا أنفسهم لصناعتهم ، واستوفوا أسبابها ، وليس مما يضير علماء الأزهر أن يكونوا أولئك الصناع ، كما أن لغير علوم الدين صناعا لا ننافسهم فى صناعتهم ولا نزاحمهم عليها . أما العمل بالدين فليس صناعة من الصنائع ولم يدع علماء الأزهر أنها كذلك وأنهم يحتكرونها ويذودون الناس عنها . فالدين لله يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم .

وقد يقول قائل : إن الدين الإسلامى دين يمتاز بالوضوح والبساطة وإن أهم أصوله القرآن الكريم والسنة السمحة ، والقرآن نزل بلسان عربى مبين ، وجاءت السنة بلغة أفصح المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى أنبيائه أجمعين ، فما بالكم تحجرون واسعا وتضيقون رحبا وتصعبون سهلا وتحولون دوننا وما نريد من فهم الأحكام من أصولها واستقائها من منابعها ، ولكنا نقول لهؤلاء : إن بيان القرآن وفصاحة الرسول ليست بالنسبة للأجيال الحاضرة من شعوب العرب الذين استعجمت لغتهم واستبهم عليهم أسلوب القرآن والسنة وجهلوا الطريق إلى غايتهما ومقاصدهما وقربت المسافة بينهم وبين الأعاجم ، وإنما هو بالنسبة إلى العرب الخلص الذين لا تخفى عليهم مقاصد القرآن والسنة وطرق دلالتهما من عبارة وإشارة وإجمال وتفصيل وما يعرض لها من تعارض وما يدعو إليه من ترجيح ولا تخفى عليهم غرائب اللغة وأسرار الأساليب وما إلى ذلك مما لا بد منه لفهم القرآن والسنة ، واستمداد الأحكام منهما ، وأين نحن من ذلك الآن ؟

على أن بعض أولئك العرب ما كانوا يشتغلون بفهم القرآن والسنة ، وكانت تند عن أذهانهم وعقولهم بعض الألفاظ و بعض الأحكام فيسألون عنها و يستفتون فيها، فقد روى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه سئل عن قوله تعالى « وفاكهة وأبا » فقال : أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى ، إذا أنا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم . وإذا كان ذلك شأن أولئك العرب ، فهل لكثير منا وهم أشباه العوام والأعجام أن يدعوا القدرة على فهم القرآن والسنة واستمداد الأحكام منهما ووسائلهم إلى ذلك قليلة وأسبابهم ضعيفة .

ألا إن الأولى بنا أن يعرف كل منا نفسه و يلزم صفه وأن يترك كل وما يحسنه وأن يوسد الأمر إلى أهله ، فذلك أمارة الإنصاف والوعى الثقافى الصحيح ، ووسيلة استقرار الأمور و إتقان الأعمال ؛

أبو الوفا المراغى

مكتبتنا العربية

بحـــوث

فى مصادر الشريعة النظرية

— ٩ —

النوع الخامس : الاستحسان بالعرف ، ويتحقق هذا فى كل شىء يتعارفه الناس ويعتادونه إذا كان ذلك الشىء يخالف قياسا من الأقيسة أو قاعدة من القواعد المقررة ، وأمثلة هذا النوع كثيرة فى الفقه الحنفى تظهر للمتتبع لمسائل العرف والأحكام المبنية عليه ، ومن هذه الأمثلة ما يأتى :

١ — أن كل شرط يجرى به العرف يعتبر شرطا صحيحا عند جمهور الحنفية ، وهو استحسان ثابت بالعرف على خلاف القياس أى الدليل الشرعى العام ، وهو ما صح عند فقهاء الحنفية من أن النبي صلى الله عليه وسلم « نهى عن بيع وشرط » . [١]

٢ — ان الأصل العام فى الوقف أن يكون مؤبدا ، ومقتضى هذا الأصل أن لا يجوز وقف المنقول استقلالا عن العقار لأن المنقولات على شرف الهلاك فلا تكون قابلة للتأبيد ، ولكن الامام محمد بن الحسن أجاز وقف ما جرى به العرف منها كالكتب ونحوها استحسانا على خلاف القياس أى الأصل العام الذى تمسك به الإمام أبو حنيفة ومنع وقف المنقول المستقل عن العقار مطلقا [٢] .

٣ — أن بيع الشرب لا يجوز استقلالا عند جمهور الحنفية لجهالة المبيع أو لكونه غير مملوك للبائع ، لأن الماء لا يملك إلا بالأحراز ، والأحراز فيه غير ممكن ، وهذا هو القياس أى القاعدة العامة ، ولكن أفتى بعض مشايخ الحنفية بجواز بيعه

---

[١] فتح القدير والعناية حـ ٥ ص ٢٢١ ، حاشية ابن عابدين حـ ٥ ص ١٢٧ ، وشرح المجلة لمحمد خالد الأتاسى حـ ٣ ص ٦٤ ، ٦٥ .

[٢] راجع الدر المختار وحاشية ابن عابدين عليه حـ ٣ ص ٣٨٥ ـ ٣٨٧ .

مكتبتنا العربية

استحسانا لجريان العرف فى بعض البلاد به . جاء فى البزازية لحافظ الدين الكردرى « أنه إذا باع شرب يوم أو أقل أو أكثر فلا يجوز لعدم الملك قبل الأحراز أو للجهالة ، وهذا هو القياس وهو مذهب جمهور المشايخ لكن بعض مشايخ بلخ قد أجازه استحسانا نظرا لتعامل أهل بلخ عليه » [١] .

النوع السادس : الاستحسان بالمصلحة ، ومن أمثلة هذا النوع ما يأتى :

١ — الأصل المقرر فى المذهب الحنفى أن عقد المزارعة ينتهى بموت العاقدين أو أحدهما كما فى الإجارة ، ولكنهم استثنوا من ذلك بعض الصور منها ما إذا مات صاحب الأرض والزرع لم يدرك بعد فحكموا ببقاء العقد فيها استحسانا على خلاف القياس أى الأصل العام حفظا لمصلحة العامل ودفعا للضرر عنه [٢] .

٢ — الأصل العام أن الزكاة لا يجوز إعطاؤها لبنى هاشم لقوله صلى الله عليه وسلم (إن الصدقة لا تنبغى لآل محمد إنما هى أوساخ الناس) وفى رواية لمسلم عن عبد المطلب (إنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد) وقوله صلى الله عليه وسلم (إن لهم فى خمس الخمس ما يكفيهم ويغنيهم) [٣] .

وقد أجاز أبو حنيفة دفع الزكاة فى زمانه إلى بنى هاشم استحسانا رعاية لمصلحتهم وحفظا لهم من الضياع . لأن عوضها وهو خمس الخمس لم يصل إليهم لإهمال الناس أمر الغنائم وإيصالها إلى مستحقيها ، وإذا لم يصل العوض عادوا إلى المعوض (٤) .

٣ — إذا شرط البائع على المشترى أن يعطيه رهنا معينا بالثمن المؤجل ، وقبل المشترى ذلك جاز البيع والشرط عند جمهور الحنفية استحسانا لأن هذا الشرط يؤكد الحصول على الثمن ، وفى هذا مصلحة للبائع ، والقياس أى الدليل العام يقتضى فساد كل

---

[١] الفتاوى البزازية بهامش ج ٦ ص ١٢١ من الفتاوى الهندية ، وفتح القدير ج ٤ ص ٢٠٤ .

[٢] الدر المختار ورد المحتار ج ٥ ص ١٩٠ .

[٣] بلوغ المرام مع سبل السلام ج ٣ ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

[٤] حاشية ابن عابدين ج ٢ ص ٦٧ ، ٦٨ .

مكتبتنا العربية

من البيع والشرط فى هذه الصورة وهو ما صح عند فقهاء الحنفية من أن النبى صلى الله عليه وسلم (نهى عن بيع وشرط) وبهذا القياس أخذ زفر [١] .

٤ — الأصل العام أن الأمين لا يضمن إلا بالتعدى على الأمانة أو التقصير فى حفظها ، ومقتضى هذا الأصل أن لا يضمن الصانع كالخياط والكواء ما يكون فى يده من أمتعة الناس إلا إذا وجد منه تعد أو تقصير فى الحفظ ، وهذا هو القياس ، ولكن أفتى أبو يوسف ومحمد بن الحسن بوجوب الضمان عليه إلا إذا كان الهلاك من شىء لا يمكنه الاحتراز عنه كالحريق الشامل أو النهب العام ، وهو استحسان روعى فيه المحافظة على أموال الناس من الضياع نظرا إلى كثرة الخيانات وضعف سلطان الإيمان على النفوس [٢]

هذه هى أهم أنواع الاستحسان فى الفقه الحنفى وأمثلتها . ومنها يتبين بجلاء أن الاستحسان عند أئمة الحنفية ليس قاصرا على القياس الخفى الواقع فى مقابلة القياس الجلى كما صوره بذلك بعض علماء الأصول فى تعريفه المتقدم ، وأنه ليس قاصرا على الاستحسان الثابت بالنص أو الإجماع أو الضرورة أو القياس الخفى الواقع فى مقابلة القياس الجلى كما يقول بعضهم فى تعريفه السابق .

وأن القياس الذى يذكر فى مقابلة الاستحسان قد يكون المراد به القياس الاصطلاحى المعروف فى أصول الفقه ، وقد يكون المراد به الدليل الشرعى العام ، أو القاعدة المقررة ، وليس المراد به خصوص القياس الاصطلاحى كما يدل عليه مسلك الأصوليين .

حجية الاستحسان

من يقرأ كتب الأصول [٣] فى مبحث الاستحسان يجد فيها تضاربا غريبا واختلافا عجيبا فى حجية الاستحسان . فبينما يقول بعض العلماء فيه : إنه تعسف وتلذذ وميل مع

---

[١] راجع بدائع الصنائع جـ ٥ ص ١٧١ ، فتح القدير جـ ٥ ص ٢١٥ .

[٢] شرح مجلة الأحكام لمحمد خالد الأتاسى جـ ٢ ص ٧١٨ .

[٣] الرسالة للامام الشافعى ص ٥٠٣ وما بعدها والأحكام لابن حزم جـ ٦ ص ١٦ وما بعدها والأحكام للآمدى جـ ٣ ص ١٣٦ - ١٣٨ ، والمختصر لابن الحاجب جـ ٢ ص ٢٨٨ ، وجمع الجوامع بشرح الجلال المحلى وحاشية العطار جـ ٢ ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

مكتبتنا العربية

الهوى وحكم بالتشهى ، يقول آخرون : إنه تسعة أعشار العلم ، كما يروى عن مالك [١] وإنه أغلب فى الفقه من القياس ، كما يقول أصبغ بن فرج المالكى [٢] وإن العالم به مع باقى الأدلة يسعه الاجتهاد فى كل شىء من أموره ، كما يقول الإمام محمد بن الحسن [٣] .

وخلاصة ما يؤخذ من كتب الأصول فى حجية الاستحسان أن الاستحسان حجة عند الحنفية والمالكية وكذلك عند الحنابلة على ما نقله الآمدى وابن الحاجب ، وقرره الجلال المحلى ، ووافقه عليه العطار فى حاشيته ، وليس بحجة عند الإمام الشافعى ، كما يدل على ذلك قوله فى العبارة المشهورة عنه : « من استحسن فقد شرع » ، وقوله فى رسالته الأصولية : « والاجتهاد لا يكون إلا على مطلوب ، والمطلوب لا يكون أبدا إلا على عين قائمة تطلب بدلالة : يقصد بها إليها ، أو تشبيه على عين قائمة ، وهذا يبين أن حراما على أحد أن يقول بالاستحسان إذا خالف الاستحسان الخبر » ، وتصريحه فيها بأن الاستحسان تعسف وتلذذ [٤] .

ولكن هذا الإنكار من الإمام الشافعى لا يمكن حمله على الاستحسان الذى يقول به الحنفية ومن معهم من العلماء ، وإنما هو محمول على الاستحسان بمعنى آخر ، وهو القول بالرأى والتشهى من غير اعتماد على دليل شرعى ، ولا شك أن الاستحسان بهذا المعنى باطل عند جميع العلماء لا يسوغ لأحد أن يأخذ به فضلا عن إمام من أئمة المسلمين .

يدلنا على ذلك ما ثبت عن الإمام الشافعى من العمل بالاستحسان والحكم به فى مسائل كثيرة . من ذلك ما نقله الآمدى فى الإحكام أن الإمام الشافعى قال « أستحسن فى المتعة أن تكون ثلاثين درهما ، وأستحسن ثبوت الشفعة للشفيع إلى ثلاثة أيام ، وأستحسن ترك شىء للكاتب من نجوم الكتابة ، وقال فى السارق إذا أخرج يده اليسرى بدل اليمنى فقطعت : القياس أن تقطع يمناه ، والاستحسان ألا تقطع ، وقد استحسن ـ كما استحسن غيره من الأئمة ـ جواز دخول الحمام من غير تقدير عوض للماء المستعمل ولا تقدير مدة

---

[١] الأحكام لابن حزم جـ ٦ ص ١٦ .

[٢] المرجع المتقدم ص ١٦ والاعتصام للشاطبى جـ ٢ ص ٣٢٠ .

[٣] جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر جـ ٢ ص ٦١ .

[٤] الرسالة للامام الشافعى ص ٥٠٤ وما بعدها .

مكتبتنا العربية

المكث فيه ، وجواز شرب الماء من أيدى السقائين من غير تقدير فى الماء وعوضه [١] وهو استحسان ثابت بالعرف والعادة على خلاف ما تقضى به القواعد المقررة فى باب البيع والإجارة ، وهو عدم الجواز للجهالة فى المبيع أو فى مدة الإجارة وهذا - كما ترى - نوع من أنواع الاستحسان الذى يريده الفقهاء القائلون به .

وعلى هذا لا يكون هناك اختلاف بين الأئمة الأربعة فى حجية الاستحسان والاعتماد عليه فى استنباط الأحكام الشرعية ، والاختلاف بينهم إنما هو فى كثرة العمل به وقلته فمنهم من توسع فى الأخذ به كالحنفية والمالكية ومنهم من لم يتوسع فى ذلك كالشافعية والحنابلة ، ولعل هذا هو السر فيما هو مشهور بين كثير من الناس وما يجرى على بعض الألسنة والأقلام من أن الاستحسان أصل من أصول الحنفية ، وأن غيرهم من الفقهاء لم يأخذوا به ولم يعتدوا به فى استنباط الأحكام .

وبهذا ينتهى الكلام على المصدر الثانى من مصادر الشريعة النظرية ما

زكى الدين شعبان
الأستاذ المساعد بكلية حقوق عين شمس

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الإيمان والحياة

إن هذه الحياة الحافلة بصنوف الشقاء وأنواع الآلام ، والتى لا يفيق المرء فيها من غمرة إلا إلى غمرة ، ولا ينل من عثرة إلا إلى عثرة ، لا يعين عليها إلا عقيدة راسخة يلوذ بها الحائر كلما عثرت خطواته ، وتداركت عثراته ، ويستروح من أعطافها رائحة الجنة كلما ضاق ذرعه باحتمال جحيم العذاب .

مصطفى لطفى المنفلوطى

---

[١] الأحكام للآمدى - ٣ ص ١٣٦ .

مكتبتنا العربية

الندم والتوبة

ـ ٢ ـ

اتضح مما قلناه فى الندم أن عين النادم ترنو بحسرة إلى ذلك الماضى الذى لم يعد فى قدرة البشر تغييره ، وأن عين التائب تتطلع إلى المستقبل يدفعها الأسف على مامضى ويحذو بها الأمل فى إصلاح ما تبقى .

فالتوبة إذن ندم صحيح يورث عزما يغير سلوك المرء من سيئ إلى حسن ، ويحول حياته المذنبة الآثمة إلى حياة طيبة صالحة .

وجوبها :

والتوبة واجبة على كل مذنب يخشى الله واليوم الآخر ، ووجوبها عن طريق الأخبار والآثار ظاهر جلى ، فالآيات والأحاديث فى ذلك كثيرة متضافرة .

قال الله تعالى : « ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » فقسم القرآن الناس إلى تائب وإلى ظالم ، وما ثم قسم ثالث البتة وجعل من لم يتب ظالما ـ وهو ظالم حقا ـ لجهله بربه وآفات نفسه .

وقال تبارك اسمه : « يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ، عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار » .

فجعل سبحانه رجاء تكفير الذنوب مرهونا بالتوبة النصوح الخالصة لله الخالية من الشوائب .

وقال صلى الله عليه وسلم : اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها (١) ...

وعنه عليه الصلاة والسلام : (أقلعوا عن المعاصى قبل أن يأخذكم الله فيدعكم هتابتا)(٢) .

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٧٩ . والهت الكسر ، والبت القطع .

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

عموم التوبة فى الأشخاص والأحوال

وكما أن التوبة واجبة على الفور فهى كذلك عامة لجميع الأشخاص وفى جميع الأحوال.

أما عمومها لجميع الأشخاص فظاهر جلى أمر به الشرع وارتآه العقل ، وحسبنا أن نذكر قوله تعالى : « وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه » .

وقوله عز وجل : « يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا » . وقوله سبحانه « وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » فعمم الخطاب ورتب رجاء الفلاح على التوبة .

وقال صلى الله عليه وسلم : (يأيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فانى أتوب إلى الله فى اليوم مائة مرة) [١] .

والعقل بعد أن يتدبر معنى التوبة ويعرف أنها الرجوع عن الطريق المبعدة عن الله تعالى يحتم ذلك ؛ فالإنسان من حيث هو عاقل يتجافى عن الطريق المبعدة وينأى عن المفازة المهلكة .

وهنا يسير البحث الخلقى الدينى مع أبحاث علم النفس جنبا إلى جنب ؛ فاذا تأملنا الإنسان من بدء حياته نجد أن غرائزه هى الحاكمة المسيطرة والمتسلطة الآمرة تقوده إلى ما تحبه النفس وتهواه ، وبتوالى الأيام والدأب على فعل ما تميل إليه النفس تتكون العادات ثم يأخذ العقل فى الظهور رويدا رويدا فيجد أمامه كثيرا من العادات المتكونة والميول المتسلطة التى ألفتها النفس واعتادتها وهى فى غير الاتجاه الصحيح الذى يريده العقل فيأخذ فى تقويمها وتعديلها . وهنا تنشأ معركة بين العقل والهوى ؛ فأيهما تغلب قهر صاحبه واحتل مناطقه وأزعجه عن مألوفه ، فان لم يقو العقل ولم يكمل فازت الشهوات وظهر الهوى وتحفز الشيطان وهو يردد : « لأحتنكن ذريته إلا قليلا » . وإن كمل العقل وقوى أخذ فى قمع الشهوات ومفارقة سيئ العادات ورد الطبع على سبيل القهر إلى طاعة الله .

---

[١] رواه مسلم .

مكتبتنا العربية

ولا معنى للتوبة إلا الرجوع عن طريق دليله الشيطان إلى طريق الله تعالى .

وأما عمومها على كل حال فهو أن كل بشر لا يخلو عن معصية بجوارحه أو بخواطره المذهلة عن ذكر الله تعالى . حتى فى أعلى مراتب البشر لايخلوأحد منهم عنغفلة أوقصور فى العلم بالله وصفاته وأفعاله وكل ذلك نقص، ولا يتصور بحال خلو البشر عن هذا النقص وإنما يتفاوتون حسب درجاتهم وطاعاتهم وقربهم من الله ، وأما أصل النقص فلا بد منه .

وإذا كان رسول الله محمد صلوات الله عليه وهو خير البشر عامة يقول : « إنه ليغان على قلبي وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة »[١] فكيف بمن هو دونه منزلة ! إنه أولى بأن يحصل منه ذلك .

ومن ثم كرمه الله تعالى فغفر له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر قال تعالى : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ... » .

فظاهر الآية يصرح بأن له ذنوبا ولكن الله تعالى كرمه بغفرانها والصفح عنها .

سؤال يرد بالخاطر :

وهنا يرد بالخاطر سؤال وهو :

هل تصح التوبة من ذنب مع الإصرار على ذنب آخر ؟

والإجابة عن هذا السؤال لها اعتبارها وقيمتها فى نفس السائل وفى نفس غيره ؛ فربما كانت الإجابة عنه تنير السبيل أمام كثير من المذنبين وتطمعهم فى رحمة الله تعالى وغفرانه .

وللاجابة عنه نقول :

إن للعلماء فى ذلك آراء :

١ — فمنهم من قال : لا تصح التوبة إلا إذا أقلع الإنسان عن كل الذنوب ، وذلك لأن الذنوب مهما اختلفت وتنوعت فهى ترجع إلى أمر واحد هو مخالفة أمر الله

---

[١] رواه مسلم ، وأورده الغزالى فى إحياء علوم الدين باب التوبة .

مكتبتنا العربية

تعالى ، فاذا تاب المرء فانما يفيء إلى أمر الله ، فمن تاب من بعض الذنوب وأصر على بعض آخر فقد ناقض نفسه وكأنه يقول : أنا لا أخالف أمر الله ، أنا أخالف أمر الله .

ولكن هذا الرأى فيه عسر ومشقة ولا يستطيعه معظم الناس ، إذ فيه من الحرج ما لايخفى ، والله تعالى يقول : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

هذا إلى أن فيه قصر التوبة على أفراد قليلين وهذا بعيد عن فضل الله ورحمته بعباده وهو القائل : « ورحمتى وسعت كل شيء » .

٢ — ومنهم من قال : تصح التوبة من الذنب مع الإصرار على آخر ولو كان من نوعه .

وهذا الرأى أيضا بعيد عن غرض التوبة ، وإلا فما قيمة التوبة عن شرب الخمر مثلا مع الإصرار على تعاطى المواد المخدرة المهلكة .

٣ — والرأى السديد الذى نرتضيه وبه قال كثير من العلماء هو : أن التوبة لاتصح من ذنب مع الإصرار على آخر من نوعه .

وأما التوبة من ذنب مع مقارفة آخر لا تعلق له به ولا هو من نوعه فتصح كما إذا تاب من أكل الربا ولم يتب من شرب الخمر فان توبته من الربا صحيحة .

قال النووى : « ويجب أن يتوب من جميع الذنوب فان تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقى عليه الباقى » [١] .

توبة العائد للذنب

والإجابة عن السؤال السابق تذكرنا بسؤال آخر وهو : ما مصير توبة من تاب ثم عاود الذنب ؟ .

ونترك لإمام الحرمين الإجابة عن ذلك . يقول : « من تاب وصحت توبته ثم عاود الذنب فالتوبة الماضية صحيحة والغرض مما ذكرناه أن تعلموا أن التوبة عبادة من العبادات يقضى بصحتها وفسادها ؛ فاذا سبقت على شرائطها لم يقدح فى صحتها ما يقع بعد مضيها وعلى معاود الذنب تجديد التوبة ثم هذه التوبة عبادة أخرى سوى التى ذكرناها » .

---

[١] النووى فى رياض الصالحين ـ باب التوبة ، وراجع مدارج السالكين لابن القيم ص ١٠٢ ، الارشاد للامام الجوينى باب التوبة .

التوبة الصحيحة مقبولة لا محالة

عرفنا حقيقة التوبة وتبين لنا فضلها ووجوبها ولكن النفس توافة لأن تطمئن متطلعة لأن تعرف مآل توبتها وكأن هامسا يهمس قائلا : ما علامة التوبة الصحيحة ، وهل إذا صحت تكون مقبولة ؟

وإنا نختم بحثنا فى التوبة بالإجابة عن هذين السؤالين ونطمئن هذه النفس القلقة فنقول :

نعم للتوبة الصحيحة علامات وأمارات تدل على قبولها منها :

١ — أن يكف عما كان يقدم عليه من ذنوب [١] .

٢ — أن يكون بعد التوبة خيرا منه قبلها .

٣ — ألا يزال الخوف مصاحبا له .

٤ — أنه كلما تذكر ذنبه انخلع قلبه ، وتقطع ندما وخوفا على قدر عظم الجناية وصغرها [٢] .

وإذا صحت التوبة فهى مقبولة لا محالة وذلك أن كل مولود يولد على الفطرة والقلب خلق فى الأصل سليما ، وإنما تفوته السلامة بكدورة ترهقه من غبرة الذنوب وظلمتها .

ونار الندم تحرق تلك الغبرة ، ونور الحسنة يمحو عن صفحة القلب ظلمة السيئة ، وكما لا تستقر ظلمة الليل مع نور النهار فكذلك لا طاقة لظلام المعاصى مع نور الحسنات ؛ فحرقة الندم وسكب الدموع تغسل القلب وتطهره وتزكيه وكل قلب طاهر زكى فهو مقبول كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول .

فواجبنا إنما هو التزكية والتطهير وأما القبول فقد سبق به القضاء ووعدنا به الله ووعده الحق حيث يقول : « قد أفلح من زكاها » . ويقول سبحانه : « فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم » .

فمن يتوهم أن التوبة النصوح غير مقبولة كمن يتوهم أن الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل والوسخ لا يزول .

---

[١] أدب الدنيا والدين ص ٨٤

[٢] أدب الدنيا والدين ص ١٠٠

مكتبتنا العربية

اللهم إلا إذا تلبس الوسخ وغاص فى تجاويف الثوب أو تراكمت الذنوب حتى رانت على القلوب ، لكن مثل هذا القلب لا يرجع ولا يثوب وإن كان يبدو منه كثيرا أن يقول ـ ولكن باللسان فقط ـ تبت وندمت وهى توبة لا تغنى من الذنوب فتيلا .

ولأن التوبة الصحيحة مقبولة قال فقهاؤنا : إن من ارتكب ما يوجب الحد فتاب قبل ثبوته عليه سقط عنه الحد [١] .

هذا البيان وإن كان كافيا للنفوس المطمئنة وذوى البصائر المشرقة قد لا يكون كافيا لمن كثرت ذنوبهم وعظمت آثامهم وتملك الخوف والوجل قلوبهم ، ولكننا نبث فيهم روح الأمل ونعضد جناحهم بذكر الآيات البينات والآثار الشاهدة لقبول التوبة .

وإذا وافق العقل النقل فلا مجال للشك والريب .

ندعوهم لأن يستمعوا إلى قوله تعالى : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم » .

وإلى قوله سبحانه : « أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم » .

وأن يصيخوا إلى قوله صلى الله عليه وسلم : إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها [٢] .

وإلى قوله عليه الصلاة والسلام : « لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة » متفق عليه .

وأن يستمعوا إلى ما روى أن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى ، يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » [٣] .

وفى الحديث الإلهى العظيم حديث أبى ذر : يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار

---

[١] ابن عابدين ج ٣ ص ١٩ .
[٢] رواه مسلم فى التوبة .
[٣] رواه الترمذى وقال حديث حسن ، مدارج السالكين ص ١٦٢

مكتبتنا العربية

وأنا أغفر الذنوب ، فمن علم أنى ذو قدرة على المغفرة غفرت له ولا أبالى : « قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم » يا عبدى لا تعجز فمنك الدعاء وعلىّ الإجابة ومنك الاستغفار وعلىّ المغفرة ومنك التوبة وعلىّ تبديل سيئاتك حسنات » [١] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حيث يذكرنى والله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ، ومن تقرب إلىّ شبرا تقربت إليه ذراعا ، ومن تقرب إلىّ ذراعا تقربت إليه باعا ، وإذا أقبل إلىّ يمشى أقبلت إليه أهرول » (٢) .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب عليكم » [٣] .

وأخيرا ندعوا أولئك الذين أسرفوا على أنفسهم حتى كادوا أن ييأسوا من رحمة الله ـ ندعوهم لأن يتدبروا هذا الحديث العظيم الذى رواه أبوهريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم » (٤)

وفى هذا المعنى يقول ابن المبارك :

أيضمن لى فتى ترك المعاصى وأرهنه الكفالة بالخلاص
أطاع الله قوم فاستراحوا ولم يتجرعوا غصص المعاصى [٥]

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ما

أبو زيد شلبى
الأستاذ بكلية أصول الدين

---

[١] مدارج السالكين ص ١٦٧
[٢] رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم .
[٣] رواه ابن ماجه فى الزهد .
[٤] رواه مسلم فى التوبة .
[٥] أدب الدنيا والدين ص ٨٠ .

مكتبتنا العربية

تعليقات

الحلال بين ، والحرام بين

دع ما يريبك إلى مالا يريبك

إن الجهود المشكورة التى تبذلها وزارة التربية والتعليم لتشهد بصادق العزم على إنهاض المجتمع المصرى من طريق العلم النافع ، وتبشر بادراك الغايات الكريمة التى تطمح إليها الأمة من زمن بعيد فى حياة خالصة من الشوائب ، تتمثل فيها العقلية الناضجة ، والوطنية الصادقة . . ويتجلى مظهرها الدينى فى الخلق الحميد ، والسمو بالنفس عن لوثة الميوعة والتحلل وما إلى هذا مما خلفته سياسات دخيلة ـ كانت ـ وتوجيهات مشؤومة ، ويكلف القادة اليوم نشاطا مضاعفا فى استئصال جذوره ، وبذر البذور الصالحة مكانه .

وإن من الجهود الميمونة ـ مشروع الألف كتاب ـ الذى اضطلعت به إدارة الثقافة فى وزارة التربية لسد الفراغ فى المكتبة الإسلامية .

وما من شك فى أن هذه وجهة محمودة تتلاقى عندها الرغبات ، وتهش لها الوجوه ، ويتعلق بها الأمل المنشود ، والرجاء فى توفيق الله .

غير أن أمرا من الأمور قد يبلغ من الأهمية مبلغه ثم تنقصه دقة الرعاية من المشرفين عليه فينحرف عن وجهتهم ، أو تلاحقه شبهة تغض من قيمته ، وإن كانت النية به حسنة والقصد فيه بريئا .

ومن ذلك أن إدارة الثقافة نشطت إلى ترجمة كتاب (الفكر الخوالد للنبى محمد صلى الله عليه وسلم) لمؤلفه محمد على اللاهورى القادیانى المذهب . وهو كتاب ينزع إلى اعتبار القرآن من أفكار النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

ولا غرابة ، فان هذا اللاهورى تلميذ مباشر لغلام أحمد القادیانى صاحب المذهب

مكتبتنا العربية

الباطل ، والضلالات الفاحشة فى العقيدة ، والأحكام ، وهو صنيعة السياسة الاستعمارية الإنجليزية إلى درجة الـكفر الصراح فى سبيل الزلفى إلى الإنجليز .

كما يشهد بذلك جميع كتبه الحافلة بالأباطيل المنـكرة .

ومن العجيب الذى لا يتفق والجهود المبـاركة التى تبذلها وزارة التربية ، ولا يلائم الغاية التى التزمتها وأعلنتها إدارة الثقافة ، أن السادة الذين ترجموا الـكتاب أثنوا على هذا اللاهورى القادياني ثناء يجعله فى مصاف القديسين ، كما أفرطوا فى الثناء على متبوعه غلام أحمد القادياني ، وفى ذلك ، وفى اختيارهم لهذا الـكتاب وعنايتهم بنشره ، إيحاء للناس بالاطمئنان إلى القاديانية ، وتوجيه للناشئة التى لا تميز الخبيث من الطيب إلى ناحيتها . وفى هذا من الخطر ما فيه مما لا يرتضيه مسلم ، فضلا عن الوزير كمال الدين حسين الذى عرف بالغيرة الدينية وبالحرص على تطهير الثقافة من لوثة الإلحاد .

هذا وقد نشرت مجلة الأزهر فى عدد رجب الماضى مقالها الافتتاحى فى هذا الصدد قياما بواجبها ورجاء فى تدارك الأمر بحبس كتاب اللاهورى عن التوزيع ، منعا لأضراره ، وحرصا على حسن الظن بما تختاره إدارة الثقافة ، كما كتبنا فى ذلك إلى السيد الوزير .

والأمل فى سيادته أن يبادر — مشـكورا — إلى تحقيق ما رجونا . والسلام عليه وعلى من اتبع الهدى ،

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

جرح الاسلام

لا تبتئس بالجرح أفرط شره ... وطغى أذاه ، فكل جرح يوسى
أقم المنـار لمدلجين تنكبوا ... سبل الرشاد وجدد النـاموسا
انظر أيسـتهدى الغوىّ مبينها ... أم يستبين الدارس المطموسا
صدأ النواظر والقـلوب أشد من ... صـدأ الحديد مضرة إن قيسا

أحمد محرم

مكتبتنا العربية

ركن الحرس الوطنى بالأزهر :

الاسلام والشجاعة

إن الدارس لتعاليم الإسلام الكريمة يرى أن الإسلام قد غرس فى نفوس أهله الشجاعة و رباهم عليها ، ورغبهم فى التضحية ، وحبب إليهم الموت والاستشهاد ، ونزع من قلوبهم الجبن والخور ، وكره إليهم الضعف والاستخذاء ، فقد أشاد القرآن الكريم بذكر الشهداء ومالهم عند الله من مثوبة وعند الناس من ذكر حسن وثناء جميل ، وامتلأ بآيات الشجاعة والإقدام ، ونبه الناس إلى أن الله جعل للانسان أجلا لا يعدوه ، وأن حبه للحياة لا يمد له أسباب البقاء ، كما أن رغبته فى الموت لا تعجل له الفناء ، وأنه وحده الذى يعلم متى وكيف تنتهى حياته .

ولقد جاءت السنة المطهرة مؤيدة للقرآن الكريم فى دعوته ، مفصلة إجماله شارحة إيجازه . فعرف المسلمون الأولون تعاليم دينهم جد المعرفة ، ونزلت منهم منزل الغيث من الأرض المخصبة فأثمرت حرية وكرامة وإباء وشهامة وعزة وشمما ، فكانوا شجعانا لنصرة دينهم ، فدائيين لتحرير أوطانهم . فتوحدت قواهم بعد تفرق وقويت بعد ضعف ، وصاروا أعزة على أهل الباطل لا يبالون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم ، ووقفوا بجانب الحق يدافعون عنه بأنفسهم وأموالهم ، وباعوا أرواحهم لله ، وهبوا مجاهدين لتحرير النفوس من الرق والعبودية والأخذ بيد الإنسانية المعذبة وإعادة الحياة الصحيحة بين الناس ، حياة العزة والكرامة والحرية واحترام القيم الأخلاقية .

فلا غرو أن رأينا عمر الفاروق لا يخشى الموت ولا يهاب الردى ، بل أعلن كلمته الخالدة : من أراد أن تثكله أمه أو يتيم ولده أو يرمل زوجه فليتبعنى وراء هذا الوادى فانى مهاجر إلى الله ، وأن رأينا الصديق أبا بكر حينما انتقضت عليه جزيرة العرب كلها عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لعمر وقد أشار عليه بمهادنتهم إلى حين :

مكتبتنا العربية

ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ، أجبار فى الجاهلية خوّار فى الإسلام ! والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه حتى يؤدوه ولو لم يخرج معى أحد من المسلمين . وأن رأينا خالد بن الوليد يقول وهو على فراش الموت : لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما فى جسمى موضع إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح أو رمية بسهم . وهانذا على فراشى أموت كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء .

أما بعد فلنتعلم من قرآن الله وسنة رسوله وسيرة سلفنا الصالح خير دروس الشجاعة والتضحية ، ولنخض المعارك ضد الباطل فى أى مكان وزمان ، ولنسالم من سالمنا ، ولنحارب من حاربنا ، ولنقف لكل عدو بالمرصاد ، ولندافع عن كرامتنا وعزتنا وشرفنا .

فان متنا فعز وشهادة ، وإن حيينا فنصر وسيادة ؟

محمد محمود الفضالى
كلية اللغة العربية ـ السنة الثانية

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الاسلام فى الصين

جاء فى كتاب (تاريخ الصين) الذى ألفه الأستاذ جين يون من جامعة بكين أن أول وفد إسلامى بلغ الصين كان فى خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان حوالى سنة ٦٥١ م ثم تتابعت الوفود الإسلامية والتجار المسلمون حتى بلغ عدد المسلمين يومئذ فى عاصمة الصين وحدها أربعة آلاف نسمة . وبلغ عدد الوفود الإسلامية إلى الصين فى عهد أسرة ثانغ وأسرة يون بين سنة ٦٥١ وسنة ١٢٠٧م ٧٦ وفدا . ولما قام (شى جول) الثائر الصينى بثورته على حكومة الصين سنة ٧٦٢ استنجد ملك الصين سونسرنغ بالدولة العباسية فأمدته بجنودها . ومن علماء الغرب الذين زاروا الصين الرحالة ابن بطوطة وهو أدق من كتب عن الصين من العرب القدماء ، وزار الصين غيره من العراق ابن وهاب وسليمان فى القرن التاسع الميلادى وسجل أحدهما ما شاهداه فى رحلتهما .

مكتبتنا العربية

الكتب

عمدة التفسير — عن الحافظ ابن كثير

اختصار وتحقيق الأستاذ الشيخ أحمد شاكر — الجزء الثانى ٢٨٧ ص — دار المعارف بمصر

نوهنا فى جزء جمادى الأولى من هذه المجلة بما تصدى له العلامة الأستاذ الشيخ أحمد شاكر من تصحيح وتنقيح وتحقيق تفسير الحافظ ابن كثير فى طبعة مختصرة زاد بها هذا الكتاب النفيس نفاسة وتمحيصا على ما وصفناه و بيناه .

وهذا الجزء الثانى مبدوء بالآية ١٦٨ من سورة البقرة : « يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين » ومختوم بالآية ٩٢ من سورة آل عمران : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، وما تنفقوا من شىء فإن الله به عليم » .

ومما امتاز به هذا المختصر التعليقات عليه مما لا يجده القارئ فى غيره ، كالتعليق فى ص ١٨ — ١٩ على حديث « لا وصية لوارث » و بيان أسانيده الصحيحة ، التى نقلها الأفراد عن الأفراد مما لم يصل إلى الإمام الشافعى رحمه الله ، فذكر فى الرسالة (ص ٣٩٨ — ٤٠١) ثبوته عنده بنقل عامة عن عامة حيث قال : « ووجدنا أهل الفتيا ومن حفظنا عنه من أهل العلم بالمغازى — من قريش وغيرهم — لا يختلفون فى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عام الفتح : لا وصية لوارث ، ولا يقتل مؤمن بكافر . ويأثرونه عمن حفظوا عنه ممن لقوا من أهل العلم بالمغازى ، فكان هذا نقل عامة عن عامة ، وكان أقوى فى بعض الأمر من نقل واحد عن واحد . وكذا وجدنا أهل العلم عليه مجمعين » .

ومن هذه التعليقات تصحيحه أن حديث « عمرة فى رمضان تعدل حجة معى » قاله النبى صلى الله عليه وسلم لأم سنان الأنصارية ولنساء أخريات ليس منهن أم هانئ كما وقع فى تفسير ابن كثير . ومن نفيس التعليقات ما جاء فى ص ١٢٣ — ١٢٤ فى سبب نزول آية : « و إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف » . وأنها نزلت فى أخت معقل بن يسار المزنى بعد أن طلقها زوجها تطليقة لم يراجعها حتى انقضت العدة فخطبها مع الخطاب ، وكانت أخت معقل ترغب فى رجوعها إليه كما رغب مطلقها ومعقل يأبى ذلك حتى نزلت الآية فقال معقل : سمع لربى وطاعة ،

مكتبتنا العربية

وزوجه . قال الترمذى وفى هـذا الحديث دلالة على أنه لا يجوز النكاح بغير ولى . لأن أخت معقل بن يسار كانت ثيبا ، فلو كان الأمر إليها دون وليها لزوجت نفسها . وقال الإمام الطبرى مثل ذلك ، وعلق عليه الشيخ أحمد شاكر بأن هذا هو الصواب ، وأن ترك الأمر فى ذلك إلى المرأة الثيب ترتبت عليه مفاسد مشاهدة زيادة على مخالفته للنصوص كحديث « لانكاح إلا بولى » .

وفى ص ١٩٢ وص ١٩٦ ـ ١٩٧ تعليقات على الربا وما تركه المسلمون من شريعة دينهم مندفعين مع شرائع أعدائه .

وفى ص ١٩٨ تنبيه إلى حديث فى صحيح البخارى ترك ابن كثير مكانه بياضا ، ثم جاء مصححو ابن كثير فى الطبعة التجارية (١ : ٣٣٢) فنقلوا من البخارى حديثا غير الذى أراده ابن كثير دون بيان أنه زيادة من عندهم فكان هذا العمل تزييفا وافتراء على ابن كثير وفى ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ تعليق ورد على محاولة للسيد رشيد رضا رحمه الله تأول حديث شهادة خزيمة بن ثابت الأنصارى ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم جعلها بشهادتين ، بما يخرج الحديث عن معناه وينفى هذه الخصوصيه لخزيمة . إلى غير ذلك من محاسن هذا المختصر وتحقيقاته . وكنا نود أن نشير إلى أمثال ذلك فى الجزء الأول ولكن ضاق النطاق عن استيعابه .

أضواء على التاريخ الاسلامى

للأستاذ فتحى عثمان — ٣٠٣ ص — مطبعة دار الجهاد بالقاهرة

طالما رددنا الشكوى على صفحات هذه المجلة من وقوف إخواننا الجامعيين فى مصر من تاريخ العروبة والإسلام موقف الأجنبى الشانئ الذى يتصيد الهفوات ، بل يصدق الأكاذيب ويشكك فى الحقائق ، ويبنى على ذلك أحكامه الجائرة على أنظف ماض لأنظف أمة ظهرت على مسرح الحضارة . وأحب أن أعتذر فى هذا الشهر لاثنين من أفاضل الجامعيين أحدهما الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربى فى جامعة الإسكندرية لمقاله النفيس المنشور قسمه الاول فى هذا الجزء عن الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ، فقد دل على يقظة فكرية بلغ بها الذروة فيما تحدث به فى مقاله عن مؤتمر عقد فى أمريكا سنة ١٩٥٣ للبحوث الإسلامية . أما الجامعى الآخر فهو الأستاذ فتحى عثمان منشئ المقالات والبحوث الكثيرة فى هذه المجلة ومؤلف كتاب (أضواء على التاريخ الإسلامى) الذى صدر فى هذا الشهر عن مكتبة دار العروبة ، وتحدث فيه عن أكثر المعانى التى تجول فى أذهان شباب العروبة والإسلام فى هذه الأيام حول تاريخهم ومراجعه

مكتبتنا العربية

والكتب المؤلفة فيه وكيف يستفيدون منها فى بعث ذلك الماضى العظيم وتخليصه من شوائب الأغراض التى تسلطت عليه والأهواء التى دفعت حملة الأقلام إلى تشويهه . وبذلك وضع أصابع المثقفين منا على مواضع الألم من هذه الناحية ، وأيقظهم لحقائق كان كثير منهم فى غفلة عنها ، وأظن أن هذا الكتاب سيكون له ما بعده إن شاء الله فى البعث المرتجى ، بما ينبعث من خلال فصوله وبين سطوره من أضواء على التاريخ الإسلامى ، فشكرا للمؤلف على هذه التحفة ، وينبغى لكل عالم ومتعلم ومنسوب إلى العلم من قراء العربية أن يتصفحه ويطيل التأمل فيه من ألفه إلى يائه . ونطمع من المؤلف أن يواصل المكتبة العربية بمثل هذه البحوث القيمة .

حقوق الانسان بين الشرق والغرب

للاستاذ محمد شاهين حمزة — ٢١٥ ص — إدارة مجلة الرابطة الإسلامية

من أعظم أكاذيب هذا العصر وخرافاته التى تذاع بين الناس بمختلف وسائل الإذاعة ، فيخيل إلى الجماهير أن فيها شيئا من الصدق ، ولو بنسبة النصف أو الربع أو العشر ، ما يزعمونه من أن فى أوربا وأمريكا اهتماما بمعنى الإنسانية وانتصارا لحقوق الإنسان ، بدليل ما يؤلفونه لذلك من لجان وهيئات ، وما يسطرونه فى هذا المعنى من وثائق . وإيمان الغرب بالإنسانية والإنسان هو — فى الواقع — ما يعترفون به بمعاملتهم الهمجية للملونين فى الولايات المتحدة الأمريكية وجنوب إفريقية ، وما شاهدناه ونشاهده من انتدابهم ووصايتهم فى القرن العشرين على فلسطين وأهلها ، وأساليب حكمهم فى الجزائر وأخواتها . والإنسانية كل لا يتجزأ ، وفاقد الشىء لا يعطيه .

وهذا الموضوع كان ينبغى لأبناء العروبة والإسلام أن يتناولوه بالتأليف ليمحصوا به الحق ، ويبينوا للناس قيمة هذه الأكذوبة التى امتلأت الدنيا بالدعاية لها . وجزى الله خيرا الأستاذ المفضال السيد محمد شاهين حمزة النائب السابق وصاحب مجلة الرابطة الإسلامية حيث أدى عنا الواجب من هذه الناحية ، فتكلم فى هذا الكتاب على التعصب والتسامح ، وعلى حقوق الإنسان عند دول الغرب واحدة واحدة ، وتحدث عن أصابع الاستعمار والرأسمالية ، وعن ماضى ذلك فى الأمم السالفة ومختلف الديانات . ودعا فى النهاية إلى قيام هيئة أمم شرقية يكون مقرها فى الشرق تنبثق منها حقوق الإنسان الصحيحة فتنتشل هذا العالم الغريق فى بحر أطماعه ووحل أحقاده ، استجابة لدعوة الإسلام منذ نادى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » . « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .

مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم

مؤتمر توحيد المناهج

والمراحل التعليمية

انعقد فى القاهرة مؤتمر عربى مشترك لدراسة توحيد المناهج والمراحل التعليمية .

ومن أهم ماوجه المؤتمر عنايته له ضرورة الاهتمام بتعليم اللغة العربية ، وألف لجنة فرعية لوضع الخطوط العريضة لمشروع المناهج الخاصة بها ، وقد أعلن المؤتمر أن اللغة العربية ليست مادة دراسية وحسب ، ولكنها « جزء من شخصية كل عربى » .

وبحث منهج التاريخ وأهميته ، باعتبار أن التاريخ العربى من مقومات القومية العربية

وقرر المؤتمر الاستغناء عن اللغة الأجنبية فى المرحلة الأولى ، على أن يكون تدريسها بعناية من بدء المرحلة الاعدادية .

وقرر المؤتمر بالاجماع إلغاء امتحان الدور الثانى ، والنظر إلى الامتحان كعملية تقييم مخففة لا يقصد بها إرهاق التلميذ .

ومن مقررات المؤتمر أن تكون مراحل الدراسة فى جميع البلاد العربية ثلاثا : ابتدائية ومدتها ٦ سنوات ، و إعدادية وثانوية ومدة كل منهما ٣ سنوات ؛ وتقرر أن تسمى كل سنة دراسية « الصف » .

وتقرر أن تكون المصطلحات موحدة وأن تبدأ المرحلة الابتدائية فى سن السادسة

القرآن فى المدارس الابتدائية

وافق مجلس نقابة المعلمين على التوسع فى تعليم الدين بمختلف مراحل التعليم ، على أن يقوم التلاميذ بحفظ أجزاء القرآن الكريم بدلا من الآيات المختارة .

مدارس المبشرين بالسودان

أذعنت إرساليات التبشير البروتستانية فى السودان لقرار ضم مدارسها إلى وزارة المعارف السودانية .

أما إرساليات التبشير الكاثوليكية فعلقت أمر ضم مدارسها إلى وزارة المعارف السودانية على موافقة البابا . لكنها وافقت على ألا تقبل فى مدارسها إلا أبناء طائفة الروم الكاثوليك .

وقد رفضت وزارة المعارف السودانية اشتراط تعليق الضم على موافقة البابا ، ورضى الوزير بأن يجتمع به ممثلو هذه الارساليات الكاثوليكية للبحث فى هذه النقطة .

مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

سيادة العرب على أوطانهم وحيادهم الايجابى

(بيان أقطاب العرب الأربعة)

عقد فى القاهرة فى الفترة مابين ٢٥ رجب عام ١٣٧٦ الموافق ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٧ و ٢٧ من رجب سنة ١٣٧٦ الموافق ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٧ اجتماع بين جلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، وجلالة الملك حسين الأول ملك المملكة الأردنية الهاشمية، وفخامة الرئيس شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية، والسيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر ورجال حكوماتهم .

وهو الاجتماع الرابع من سلسلة الاجتماعات التى يعقدونها بين آونة وأخرى لدراسة الموقف الدولى والتباحث فى القضايا التى تمس الأمة العربية وتؤثر فى مجرى حياتها ونهوضها وتقدمها وحفظ كيانها .

ولقد استعرض المجتمعون الجهود المشكورة التى بذلها صاحب الجلالة الملك سعود ابن عبد العزيز خلال زيارته للولايات المتحدة الأمريكية ، وما أوضحه جلالته للمسئولين فيها من وجهات النظر العربية حول مشاكل الشرق الأوسط ، وما تناوله البحث من أمور .

كما أوضح جلالته ما أفهمه للرئيس الأمريكى بصورة خاصة عن حقوق العرب وقضاياهم بما فى ذلك العدوان الأخير على مصر ونتائجه وحق مصر فى سيادتها على قناة السويس وخطورة ما ينتج عن تمرد إسرائيل على قرارات الأمم المتحدة التى تنص على الانسحاب بدون قيد أو شرط من قطاع غزة وخليج العقبة إلى ماوراء خطوط الهدنة وذلك دون تحقيق أى مكاسب لإسرائيل نتيجة للعدوان الثلاثى .

ويؤكد المجتمعون أن دولهم حريصة على أن تقوم بدورها فى المجتمع الدولى وأن تساهم

مكتبتنا العربية

بنصيبها فى إرساء العلاقات الدولية على أسس تنحو بها نحو السلام والعدالة والرخاء بما يكفل احترام سيادتها ومصالحها .

إن الدول العربية المجتمعة وقد ازدادت قوة بوعى شعوبها وازدادت إيمانا بسلامة أهدافها ورسوخ فكرتها لتؤكد ما سبق أن أعلنته من عزمها على تجنيب الأمة العربية مضار الحرب الباردة والبعد بها عن منازعاتها والتزام سياسة الحياد الإيجابى محافظة بذلك على مصالحها القومية . وكذلك تؤكد أن الدفاع عن العالم العربى يجب أن ينبثق من داخل الأمة العربية على هدى أمنها الحقيقى وخارج نطاق الأحلاف الأجنبية .

ويرى المجتمعون أنه رغم قرارات الأمم المتحدة وإجماع الرأى العام العالمى بضرورة انسحاب إسرائيل إلى ماوراء خطوط الهدنة فان العدوان الثلاثى ضد مصر لا زال قائما بجميع آثاره ومظاهره طالما لم تنفذ إسرائيل قرارات الأمم المتحدة بالانسحاب دون قيد أو شرط .

كما يرى المجتمعون أنه مما يهدد الأمن والسلام فى منطقة الشرق الأوسط ما يعانيه أهالى قطاع غزة على يد إسرائيل من أشد ألوان التنكيل والتعذيب .

ولذلك قرر المجتمعون :

١ — العمل على انسحاب إسرائيل فورا إلى ما وراء خطوط الهدنة دون قيد أو شرط .

٢ — التمسك بحقوق عرب فلسطين كاملة وبسيادة العرب على أراضيهم ومياههم الإقليمية .

٣ — وجوب تعويض مصر من قبل الدول المعتدية عن جميع الأضرار والخسائر التى لحقت بها من جراء العدوان .

٤ — رفض جميع المحاولات التى تبذل للانتقاص من سيادة مصر وحقوقها فى قناة السويس ، إذ أن قناة السويس جزء لا يتجزأ من مصر وسيادتها عليها كاملة وحرية الملاحة فيها مكفولة طبقا لأحكام اتفاقية القسطنطينية سنة ١٨٨٨ .

٥ — استنكار العدوان البريطانى على أراضى اليمن والتضامن معها فى صد هذا العدوان .

٦ — التأييد المطلق لحق عرب الجزائر فى الحرية والاستقلال وتمجيد نضالهم الجبار ضد قوى الاستعمار .

ويرى المجتمعون أن سياستهم التحررية المنبعثة عن إيمانهم بحق أمتهم فى أن تحيا حرة مستقلة ، والمستندة إلى قوميتهم العربية التى برهنت للعالم أنها حقيقة قائمة ، لتزيدهم تضامنا فيما بينهم لبلوغ أهداف الأمة العربية فى الحرية والوحدة والتقدم .

مكتبتنا العربية

غنائم مصر

من مدخرات قاعدة القنال

لما قامت بريطانيا بجريمة الغدر فى هجومها على مصر، كان من النتائج المشروعة لحالة الحرب التى ترتبت على ذلك استيلاء مصر على الغنائم الحربية التى بقيت مدخرة فى قاعدة القنال. ويقول چون هير وزير الحربية البريطانية فى تصريح له فى شهر فبراير إن هذه الغنائم هى ما يقرب من ٢٧٠٠ سيارة عسكرية و ١٨ ألف طن من الذخيرة و ١٢٠ ألف طن من العتاد المخزون. وقال: إن قيمة هذا العتاد تقدر بستين مليونا من الجنيهات.

شركات مقاولى قاعدة القنال

اعتبرت الجهات المسئولة فى مصر شركات مقاولى قاعدة القنال غنيمة حرب، لأنها كانت لحراسة ذخائر ومعدات حربية، وهذا هو الوجه القانونى لاعتبارها غنيمة حرب. ولكنه من ناحية عمالها ومستخدميها يعتبر مبررا قويا لتدبير عمل سريع لهم بعد تسجيل أسمائهم فى مكاتب التخديم الحكومية.

اللغة العربية

فى الشركات والمؤسسات بمصر

صدر قرار جمهورى بوجوب استعمال اللغة العربية فى جميع السجلات والمحاضر والمكاتبات الصادرة من الشركات والمؤسسات الأهلية إلى الجهات الحكومية أو فى معاملاتها، وفى تحرير العقود والإيصالات والمكاتبات المتبادلة بين الجمعيات والهيئات وبينها وبين الأفراد، وكذلك اللافتات. وأجاز كتابة لغة أجنبية إلى جوار اللغة العربية، على أن يراعى فى كتابة اللافتات أن تكون اللغة الأجنبية تحت اللغة العربية وبخط أصغر منها. وحدد القرار عقوبة المخالفة بغرامة من عشرة جنيهات إلى مائتى جنيه. وقد بنى هذا القرار الجمهورى على أن دستور مصر نص على أن اللغة العربية هى لغة البلاد الرسمية، وهذا القرار أحد وجوه العمل بهذا النص الدستورى.

وفد الجامعات اليوغسلافية

فى زيارة الأزهر

زار الأزهر وفد أساتذة الجامعات اليوغسلافية الذى يزور مصر الآن، وقد استقبلهم نيابة عن فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر — فضيلة وكيل الجامع الأزهر وفضيلة سكرتيره العام. وقد وقفوا على مظاهر النشاط الأزهرى فى جميع نواحيه.

شهادات

* شهد جوزيف جرين سفير أمريكا السابق بالأردن أمام لجنة الدفاع والشئون الخارجية المشتركة بمجلس الشيوخ الأمريكى أن النفوذ الشيوعى فى إسرائيل أقوى منه فى أية دولة عربيـة أخرى ، بسبب الشيوعيين الذين هاجروا إليها من أوربا الشرقية ، وأن الشيوعيين بدأوا نشاطهم فى إسرائيل قبل أن يبدأوه فى الدول العربية .

* وشهد هنرى بايرود سفير أمريكا السابق بمصر بأن الهجوم الذى شنته إسرائيل على مصر فى فبراير ١٩٥٥ هو الذى أطلق حالة القلق والاضطراب من عقالها فى الشرق الأوسط ، وأن الفدائيين المصريين لم يرسلوا لمهاجمة إسرائيل إلا بعد هـذا الهجوم . وقال : إنه كان من الخطأ أن تلغى أمريكا عرضها للمساعدة فى إنشاء السد العالى .

* وقال جيمس مكدونلد سـفير أمريكا السابق فى إسرائيل : إنه لم يحـدث منذ مباحثات الهدنة التى أجراهـا رالف بانش سنة ١٩٤٩ أى تقدم ، بل بالعكس تشدد العرب أكثر من ذى قبل .

* وأعرب جورج وادسورث سفير أمريكا السابق فى المملكة السعودية عن اعتقـاده بأن من مصلحة البلدين أن يسمح للسعودية بشراء الأسلحة من أمريكا ، لأن السعودية تعد من عوامل الاستقرار فى المنطقة ، وقد رفض الملك سعود استمرار قبول الأسـلحة من الروس .

قضية الجزائر

فى الجمعية العامة للأمم المتحدة

فى منتصف فبراير وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة بإجماع ٧٧ دولة على المشروع الذى تقدمت به الـكتلة الاسيوية الافريقية ودول أمريكا اللاتينية وهو « أن الحـالة فى الجزائر قد أدت إلى آلام كثيرة ، وكانت سببا فى خسائر جسيمة فى الأرواح . ولذلك تعرب الجمعية العامة عن أملها فى الوصول ـ بوسائل مناسبة ، وبروح متسمة بالتعاون ـ إلى حـل ديمقراطى عادل لمشكلة الجزائر ، على أن يكون هـذا الحل متفقا مع مبادئ ميثاق الأمم المتحدة » .

مناهج الدراسة النسوية

تتجـه النية إلى تعـديل مناهج المـدارس النسوية والثانوية الفنية ، وسيدخل فى المنهج ـ علاوة على التدبير المنزلى ـ وسـائل تربية الأطفال ، والرضاعة ، والحضانة ، والأعمال الخاصة بالمنزل ، والحياة الزوجية .

مكتبتنا العربية

الفهرس

صفحة	الموضوع	بقلم
٧٠٥	نحو حياة أفضل وأسعد	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٧١١	نفحات القرآن : الموالاة والمسالمة والحذر	« عبداللطيف السبكي وجماعة كبار العلماء
٧١٦	السنة : جهاد النساء	« طه محمد الساكت
٧١٩	من هدى القرآن الكريم	« محمد محمد أبو شهبة الأستاذ بكلية أصول الدين
٧٢٣	الاسلام يحارب الجشع	« أحمد الغرباوي المدرس بالأزهر
٧٢٦	إحياء العلوم ونهضاتها في ثقافة أور	« عباس طه
٧٣٠	كلمة الأزهر في حفلة افتتاح الدراسات الاجتماعية	« محمد عبد التواب
٧٣٣	الاتجاه إلى الله	« علي المهاري
٧٣٦	بشارة لهذه الأمة — ٢ —	« محمود فرج العقدة
٧٣٩	الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة — ١ —	« محمد حسين أستاذ الأدب العربي بجامعة الاسكندرية
٧٤٦	الفتويات	« محمد علي النجار
٧٤٩	تراث إسلامي	« إبراهيم نعيم
٧٥٠	مفتي	« محمود إبراهيم طيره
٧٥٤	خالد بن الوليد	« محمود النواوي
٧٦٠	ثورة الاسلام على الفقر	« محمد ندا
٧٦٤	المثالية الواقعية في الفكرة الدينية	« فتحي عثمان
٧٧٠	الدين ووسائل تعليمه	« أبو الوفا المراغي
٧٧٤	بحوث في مصادر الشريعة النظرية	« زكي الدين شعبان
٧٧٩	الندم والتوبة	« أبو زيد شلبي
٧٨٨	تعليقات : الحلال بين والحرام بين	« عبداللطيف السبكي وجماعة كبار العلماء
٧٩٠	ركن الحرس الوطني بالأزهر : الاسلام والشجاعة	« محمد محمود الفضالي
٧٩٢	الكتب	المجلة
٧٩٥	الأدب والعلوم	«
٧٩٦	العالم الاسلامي	«